جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

المفردة القرآنية ودلالاتها السياقية "مادة (ز ك ا) أنموذجاً"

إعداد

د. بكر طلعت بكر سعد

مدرس أصول اللغة في كلية اللغة العربية بجرجا

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الثاني ٠٠٠أكتوبر)
(الجزء الخامس (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٦٢٧١/٢٠٢٣م

المفردة القرآنية ودلالاتها السياقية "مادة (ز ك ا) أنموذجاً"

بكر طلعت بكر سعد
قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، جرجا، مصر.
البريد الإلكتروني : elbakrsaad@azhar.edu.eg

الملخص :
هذه الدراسة عبارة عن مقاربة وصفية للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا) ، أثناء تواجدها في السياقات المختلفة في القرآن الكريم والتي دلت على معنى آخر غير المعنى اللغوي الموضوع لها من خلال السياق القرآني، وقد وردت في القرآن الكريم في ستة وخمسين موضعًا منها ثلاثون موضعًا دلت على معان حسية، وستة وعشرون موضعًا دلت على معان مجازية. وكشفت هذه الدراسة عن دور السياق في تحديد معنى المفردة القرآنية ومكانتها في الآية، ومدى تحقيق الانسجام والاتساق بينها وبين بقية المفردات الأخرى الواردة معها في السياق نفسه. كما تبين من الدراسة دور السياق البارز في ترجيح بعض الآراء على بعض وهذا ما ورد في كثير من الآيات القرآنية موضوع الدراسة. ووضح من الدراسة أيضًا دور القرائن السياقية وأثرها الكبير في تحديد معنى المفردة القرآنية في كثير من الآيات القرآنية التي اشتملت على أحد مشتقات مادة (ز ك ا).وجاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، ومطلبين، وخاتمة، وفهارس فنية تتمثل في: فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

الكلمات المفتاحية: السياق، المفردة القرآنية، مادة لغوية، " ز ك ا".

The Qur'anic vocabulary and its contextual connotations، Article (Zaka) as an example

Bakr Talaat Bakr Saad

Department، Fundamentals of Language، Faculty of Arabic Language، Al-Azhar University، Girga، Egypt.

Email: elbakrsaad@azhar.edu.eg

Abstract:

This study is a descriptive approach to the Qur'anic word for the subject (za ka a)، during its presence in various contexts in the Holy Qur'an، which indicated a meaning other than the linguistic meaning assigned to it through the Qur'anic context، as it was mentioned in the Holy Qur'an in fifty-six places، including thirty. One place indicates sensory meanings، and twenty-six places indicate metaphorical meanings .This study revealed the role of context here in determining the meaning of the Qur'anic word and its place in the verse، and the extent of achieving harmony and consistency between it and the rest of the other words mentioned with it in the same context .The study also revealed the prominent role of context in giving preference to some opinions over others، and this is what is stated in many of the Qur'anic verses that are the subject of the study .The study also clarified the role of contextual clues and their significant impact in determining the meaning of the Qur'anic word in many of the Qur'anic verses that included one of the derivatives of the substance (Z.K.A .)This research included an introduction، a preface، two sections، two topics، a conclusion، and technical indexes، which are: an index of sources and references، and an index of topics.

Keywords: *Context، Quranic Vocabulary، Linguistic Material، Quranic Vocabulary.*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــة

الحمد لله الرحيم الرحمن، علَّم القرآن؛ خلق الإنسان علَّمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل الْقُرْآن هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله سيد ولد عدنان، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

وبعـــد،،،

فإن الله – عز وجل– أنزل كتابه هدى للعالمين، وهذه الهداية لا تكون إلا لمن تدبر كتابه وفهم تفسيره، لذلك أمر الله عز وجل بتدبر آياته فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤] والتدبر يكون بالنظر والتفكر في سياق الآية أو الآيات والربط بينها للوصول إلى معرفة المراد منها، وبالتالي ينتج العمل بها. فدراسة السياق القرآني في حقيقته إعمال لأمر التدبر للقرآن؛ لأنه يعد أصلًا من أصول علم التفسير لا غنى للمفسر عنه لما له من أثر ظاهر في فهم كلام الله تعالى وبيان المعنى الصحيح في الآية.

وتعد المفردة القرآنية هي أساس الجملة القرآنية التي تتكون منها الآيات والسور القرآنية، وفهم دلالة المفردة القرآنية يعد من أهم المعينات على فهم القرآن الكريم، حيث إن كل لفظة منه حينما تقع في تركيب معين؛ فإنها تكتسب من ذلك التركيب المعين دلالة معينة وتوجهًا خاصًا يتغير بتغير ذلك التركيب المعين؛ لذلك فإن فهم دلالة المفردة القرآنية يعد من الآليات التي لا بد للمفسر من أن يكون ملمًا بها حتى يتسنى له فهم كتاب الله الفهم الصحيح.

ولما كان للسياق أهميته البالغة في تحديد الدلالة المرادة من المفردة القرآنية، ويكشف غموضها، ويزيل خفاءها، ويحسم التعارض في معناها، فقد وقع اختياري لهذا البحث وجعلت عنوانه: المفردة القرآنية ودلالاتها السياقية "مادة (ز ك ا) أنموذجًا"

وجاءت هذه الدراسة كاشفة عن دلالة المفردة القرآنية لمادة (ز ك ا) في القرآن الكريم عند وقوعها في سياقات مختلفة في القرآن الكريم، وأثر ذلك في فهم النظم القرآني.

الدراسات السابقة:

ـ أما عن الدراسات السابقة فقد كثرت جهود العلماء والمشتغلين بالقرآن الكريم بدراسة ألفاظه وبيان معانيه، وتأتي هذه الدراسة كلبنة صغيرة في صرح جهود السابقين في تناولهم لألفاظ القرآن الكريم ، ومن هذه الدراسات السابقة لتلك الدراسة:

١ – مادة "أكل" ودلالته السياقية في القرآن الكريم د. عبد التواب مرسي حسن الأكرت، بحث في مجلة الجامعة الإسلامية العالمية بباكستان، العدد الأول– المجلد (٥١) ١٤٣٧هـ –٢٠١٦م.

٢ – مادة صبر في القرآن الكريم: دراسة معجمية سياقية د. علاء حسن موسى بحث في مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية– جامعة بابل، العدد٤–المجلد (٢٩) ٢٠٢٣م.

٣ – مادة (قدس) في القرآن الكريم "دراسة دلالية سياقية" د. محمد السواعدة، بحث في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية– جامعة آل البيت العدد الرابع، المجلد(١٧)١٤٤٣هـ– ٢٠٢١م.

٤ – مادة (وهن) في القرآن الكريم: دراسة دلالية سياقية د. سحر حسن يوسف بحث في مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية– جامعة العلوم الإسلامية العالمية بالأردن، العد الثاني – المجلد الثامن ١٤٤٣هـ– ٢٠٢١م.

٥ – المفردة القرآنية من خلال السياق عند الراغب الأصفهاني "دراسة وتحليل" للباحث عبد الكريم عزيز، رسالة ماجستير في التفسير وعلومه في كلية العلوم الإسلامية بماليزيا، ١٤٣٣هـ–٢٠١٢م

وغير ذلك من الدراسات التي تناولت ألفاظًا من القرآن الكريم مثل مادة (صدع) ومادة (صرف) ومادة (صعد) ومادة (ظنَّ) ومادة (نصح)، وهذه الدراسات تتفق مع دراستي في أنها تتناول دراسة لفظة من كتاب الله تعالى من جهة الدلالة والسياق، لكن تختلف معها في اللفظ موضوع الدراسة، حيث اختصت الدراسة هنا بالمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا) ومشتقاتها.

منهج الدراسة:

أما عن منهج الدراسة فهو المنهج الوصفي، الذي يقوم على استقراء اللفظة وتحليلها سياقيًا طبقًا للمنهج السياقي مستشهدًا على ذلك بقرائن لغوية ما أمكن مع بيان أثر هذا المعنى السياقي في النص القرآني.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة: **ففيها عرض لأهمية الموضوع، وأسباب اختياري له، والمنهج الذي سرت عليه، وخطة البحث .**

وأما التمهيد **فتحدثت فيه عن: المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلحي الدلالة والسياق، وجهود العلماء نحوهما.**

المبحث الأول: **الدلالات اللغوية للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا)**.

المبحث الثاني: **الدلالات السياقية للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا) وفيه مطلبان:**

المطلب الأول: **الدلالة الحسية للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا) ومشتقاتها.**

المطلب الأول: **الدلالة المجازية للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا) ومشتقاتها.**

الخاتمة: **وتضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكون خدمة لكتابه العظيم، وللُّغة العربية رفع الله شأنها وأعلى قدرها**.

الباحث،،،

التمهيد

معنى كلمة دلالة في اللغة:

وردت كلمة دلالة في معاجم اللغة بمعنى الهداية والارشاد يقول الجوهري: "الدَليلُ: ما يُسْتَدَلُّ به. والدَليلُ: الدالُّ. وقد دَلَّهُ على الطريق يَدُلُّهُ دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً والفتح أعلى."[١]، وأدللت الطريق: اهتديت إليه.[٢]، فالدال والدليل هو المرشد والهادي، وقد استخدمت كلمة دلالة في عصرنا مرادفة للمعنى؛ لأن اللفظ يرشد إلى المعنى ويهدي إليه ويستدل به عليه في تودد ورفق[٣]

في الاصطلاح:

"ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء"[٤]، أو هي "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"[٥]

وقد أطلق عليها العالم الفرنسي ميشيل بريال مصطلح Semantiqu في مقال كتبه سنة ١٨٨٣م، ويعد هذا العالم الفرنسي أول من استعمل هذا المصطلح لدراسة المعنى، واعتُبر بحثه أول دراسة حديثة لتطور معاني الكلمات[٦] ، وهكذا تغير مفهوم الدلالة من معناها الحسي إلى المعنى العقلي أو الذهني التصوري.

وقد خص الباحثون المعنى باهتمام واسع في دراساتهم وأفردوه بعلم خاص سموه (علم الدلالة) Semantique، واتضح لهم أن لهذا العلم صلة بعلوم النفس، والاجتماع، والتاريخ والجغرافية وغيرها مما يبدو أثره في التغيرات المعنوية.[٧]

---

(١) الصحاح (د ل ل) ٤/ ١٦٩٨.

(٢) أساس البلاغة (د ل ل) ١/ ٢٩٥.

(٣) علم الدلالة اللغوية د. عبد الغفار هلال ص ١٠.

(٤) المفردات (د ل) ص ٣١٦.

(٥) التعريفات ص ١٠٤.

(٦) علم الدلالة د. أحمد مختار عمر ص ٢٢.

(٧) علم الدلالة اللغوية د. عبد الغفار هلال ص ٢١.

معنى السياق في اللغة:

السياق في اللغة مأخوذ من مادة (س و ق)، التي يراد بها التتابع والتوالي؛ يقول ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء. يقال ساقه يسوقه سوقا. والسيقة: ما استيق من الدواب."(١)، وقد انساقت وتَساوَقَت الإبلُ تَساوُقاً إِذَا تَتَابَعَتْ (٢). وفي الأساس: "ومن المجاز: وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث" (٣)، وَسِيَاق الْكَلَام تتابعه وأسلوبه الَّذِي يجْرِي عَلَيْهِ (٤). فدلت هذه المعاني على التتابع والتوالي سواء كان حقيقيًا أو مجازيًا، وأكد هذا المعنى د. تمام حسان بقوله: "المقصود بالسياق "التوالي"، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين، أولاهما: توالى العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك ، والسياق من هذه الزاوية يسمى "سياق النص". والثانية: توالى الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق "سياق الموقف"(٥)

معنى السياق في الاصطلاح:

عُرف السياق بأنه "وضع الكلمة داخل الجملة أو الحدث الذى تعبر عنه الكلمة داخل الجملة، مرتبطة بما قبلها وما بعدها، كما أنه في حال الكلام يتمثل في العلاقة القائمة بين المتكلم والحالة، أو المقام الذى يتكلم فيه وتكوينه الثقافي."(٦)، وفي هذا التعريف إشارة إلى نوعين من السياق هما: السياق اللغوي، وسياق الحال.

ومفهوم السياق يرادفه في التراث العربي كلًا من المقام والحال والموقف، وأن مفهوم السياق يتسع أيضًا ليشمل ما يعرف في الدراسات اللغوية الحديثة بسياق النص **verbal context** ، وسياق الموقف أو المقام الخارجي وهو ما يعرف بـ **context of situation**

---

(١) ينظر: المقاييس(س و ق) ٣/ ١١٧.

(٢) اللسان (س و ق) ١٠/ ١٦٦.

(٣) أساس البلاغة, (س و ق) ١/ ٤٨٤.

(٤) المعجم الوسيط, ١/٤٦٥ (باب السين)

(٥) قرينة السياق للدكتور تمام حسان ص ٣٧٥ ، بحث مُقدَّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم) مطبعة عبير للكتاب سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م .

(٦) علم الدلالة بين النظر والتطبيق د/ أحمد نعيم الكراعين ص ١٠٠.

أي أن هذا السياق كما فهمه العلماء العرب يشتمل على عناصر دلالية تستفاد من المقال ومن المقام جميعًا.(١)، فالسياق يحدد دلالة الكلمة على وجه الدقة وبوساطته تتجاوز كلمات اللغة حدودها الدلالية المعجمية المألوفة؛ لتفرز دلالات جديدة قد تكون مجازية، أو إضافية، أو نفسية، أو إيحائية، أو اجتماعية، أو غير ذلك من الدلالات التي سماها بعض المحدثين بمسميات خاصة، او اصطلح عليها آخرون بمصطلحات معينة.(٢)

أقسام السياق:

قسم فيرث السياق إلى قسمين:

١ – **السياق الداخلي للحدث اللغوي**: ويتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين الكلمات داخل تركيب معين.

٢ – **السياق الخارجي**: ويتمثل في السياق الاجتماعي، أو سياق الحال بما يحتويه، وهو يشكل الإطار الخارجي للحدث الكلامي.(٣)

لكن بعض علماء اللغة المعاصرين قسموا السياق إلى أربعة أقسام:(٤)

١ – **السياق اللغوي**: وهو البيئة اللغوية التي تحيط بصوت أو فونيم أو مورفيم أو كلمة أو عبارة أو جملة.(٥)

٢ – **سياق الموقف(الحال)**: ويعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة فتتغير دلالتها تبعًا لتغير الموقف أو المقام.(٦)

٣ – **السياق العاطفي**: وهو الذي يتولى الكشف عن المعاني الوجدانية والتي قد تختلف من شخص إلى آخر.

---

(١) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د. عبد الفتاح البركاوي ص ٣٠.

(٢) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي د. هادي نهر ص ٢٣٦.

(٣) ينظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية د. حلمي خليل ص ١٦١.

(٤) ينظر: علم الدلالة د. أحمد مختار عمر ص ٦٩–٧١، وعلم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية د. فريد عوض حيدر ص١٥٨– ١٦٢، وعلم الدلالة د. منقور عبد الجليل ص ٨٩، ٩٠.

(٥) علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية د. فريد عوض حيدر ص١٥٨.

(٦) ينظر: علم الدلالة د. أحمد مختار عمر ص ٧١، علم الدلالة د. منقور عبد الجليل ص ٩٠.

٤ - السياق الثقافي (الاجتماعي): وهو الذي يكشف عن المعنى الاجتماعي الذي توحي به الكلمة أو الجملة، ويكون غالبًا مرتبط بحضارة معينة أو مجتمع معين[١].

والقسمان الأخيران؛ لا أراهما إلا مظهرين من مظاهر السياق، يندرجان تحت القسم الثاني من قسمي السياق الرئيسين، وهو السياق غير اللغوي (سياق الحال)؛ لأن السياق نوعان لا ينفصلان أحدهما لغوي والآخر حالي، والأول يعتمد على الكلام المنطوق، والثاني يعتمد على الظروف والملابسات المحيطة بالحدث الكلامي وهذه الظروف الملابسة للحدث الكلامي تشمل بقية أنواع السياق.[٢]

وقد كان للعرب السبق في مجال دراسة السياق اللغوي، وقد أفاد الغربيون المُحدَثون من تراثهم، ومن عِلمهم الغزير في ميدان السياق الدلالي، وتوجّهوا للعناية به ودراسة أثره في فَهم المعنى، وأعانَهم في ذلك تطوّر وسائل البحث اللغوي في تحويل السياق إلى نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى من صوتية وصرفية ونحوية واجتماعية، ووضعوا لها من المعايير والإجراءات ما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التي عالجت المعنى بالتحليل والتفسير"[٣]، وكانت باكورة التأليف في السياق لدى الغرب متمثلة في جهود عالم الاجتماع والأجناس البشرية (مالينوفسكي) وذلك عندما واجه صعوبات جمة أثناء ترجمته لبعض الكلمات والجمل في اللغات البدائية وخاصة لغات الهنود الحمر في أمريكا إلى اللغة الانجليزية، وقد تأكد له أن الكلمات المعزولة عن سياقاتها لا تعدو أن تكون أصواتاً مبهمة، مما جعله يبحث عن حل لهذه المشكلة وتمثل هذا الحل في ضرورة تحليل أنماط السياقات الكلامية من ناحية ، ومراعاة المواقف الخارجية، أو الظروف غير اللغوية المصاحبة للأداء من ناحية أخرى . ثم تبعه فيرث الذى استقى نظريته السياقية من كلام (مالينوفسكي) وخاصة فيما يتعلق بالمعنى الدلالي أو الاجتماعي. وذكر فيرث أن

---

(١) ينظر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية د. فريد عوض حيدر ص ١٦٢،١٥٩.

(٢) السابق ص ١٦٣.

(٣) قرينة السياق وأثرها في النص القرآني د. عبد الباقي بدر الخزرجي ص ١٢١ بحث في مجلة كلية التربية– الجامعة المستنصرية، العدد الثامن والستون ٢٠١١م.

التفوهات اللغوية (كلمات، أو عبارات، أو جمل) إنما تؤدى وظيفتها في إطار موقف خارجي، كما أن عناصر الوحدة اللغوية لا يعمل أي منها إلا في ضوء علاقته بالعناصر الأخرى.[١]

الفرق بين السياق والنظم:

هناك بعض المصطلحات قد تتداخل مع السياق في المعنى، فيعدها بعض العلماء مرادفة له، وبعضهم يقصد بها السياق نفسه وذلك مثل مصطلح النظم، والحقيقة أن بينهما فرق:

فالنظم هو الذي يكشف عن حسن ارتباط المعاني بألفاظها، وهو ما يكثر الحديث عنه في بيان الوجوه البيانية، كاختلاف المعاني للألفاظ التي تنعت بالمترادفة، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والتعريف والتنكير، فإذا أطلق النظم قصد به أوجه الاختلاف هذه وما ينشأ عنها من نكت بيانية. أما السياق فإنه يختلف عن النظم بهذا الاعتبار، إذ إنه يبحث في الدلالات المعنوية الآتية في مساق واحد، ومدى انسجامها فيما بينها، بحيث تشكل قطعة موضوعية من الحقائق العقدية أو التشريعية أو الكونية، ومدى ترابط المعاني وتتابعها في طريق واحد؛ لأجل الوصول إلى غاية محددة. فالسياق يبحث في ترابط المعاني بالمعاني السابقة واللاحقة، والنظم يبحث في ترابط المعاني بألفاظها، أو بعبارة أدق، السياق هو علاقة المعنى بالمعنى ، والنظم هو علاقة اللفظ بالمعنى، فالسياق بهذا المفهوم خادم للنظم، إذ الأخير اختص بإيضاح الوجوه البيانية ومدى تناسب المعاني مع ألفاظها، إذ لا يتضح المعنى ويبين وجهه حتى يتم استجلاء السياق من حيث دلالته المعنوية بسابقه ولاحقه، ومن ثم يتضح الوجه المبحوث عنه من ناحية النظم؛ لأن ذلك أدعى لتلمس الحقيقة والكشف عن وجه حسنها، وبهذا يظهر الفرق بين المصطلحين[٢]

ومن غير فهم النظم لا يمكن أن نكشفَ عن نسق المعاني ولا أن نُحدّد أبعادها أو نكشف عن الفروق الدلالية الدقيقة بينها، فعلم النظم هو الذي يبرز الأسرار والنكت في أسلوب

---

(١) ينظر: دلالة السياق ص ٤٨-٤٩ بتصرف .

(٢) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي للمثنى عبد الفتاح محمود ص ١٧.

القرآن ويكشف الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيّات التراكيب ويربط هذه الخصوصيّات بالسياق والغرض العام. (١)

ولقد أدركَ علماؤنا الأوائل أثرَ السياق في توجيه المعنى وتحديده، إذ وَجدوا أنّ ظاهرَ الألفاظ المُفردة لا يُعين على فَهم النصوص فَهماً صَحيحًا، وأن البحث عن دلالة الكلمة لا بد أن يجري من خلال التركيب والسياق الذي ترد فيه حيث ترتبط الكلمة بغيرها من الكلمات مما يمنح كلًا منها قيمة تعبيرية جديدة ويفرض عليها قيمًا دلالية بحيث يتحدد كل منها بدلالة قارة دون سائر الدلالات التي يمكن لهذه الكلمة أو تلك أن تحملها أو تؤديها." (٢)

لذلك بيَّن كثير من علماء التفسير أنّ فهم المعنى القرآني لا يتحقّق إلا بعد مَعرفة سياق الكلام؛ لأنه يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة. وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم (٣)

وعلى هذا **فالسياق القرآني يقصد به**: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال"(٤)

وقد اهتم علماء التفسير بالسياق القرآني، حيث إنه يعد الأساس في فهم النصوص القرآنية، فقسموه إلى أربعة أقسام:

١ - **سياق الآية**، وهذا النوع يكون النظر فيه لسياق الآية (سابقها ولاحقها) دون تجاوز ذلك إلى ما سبقها أو لحقها من آيات؛ لتحديد واقتناص المعنى المراد لأحد المفردات من خلال معانيها المتعددة والمحتملة.

٢ - **سياق المقطع:** وهو عبارة عن نصوص ومقاطع من الآيات متحدة المعاني مترابطة المباني، لها أغراض محددة، وهذه الأغراض متناسبة تتلاحم فيبني بعضها على بعض حتى

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: د. محمد أبو موسى ١٨٩ .

(٢) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي د. هادي نهر ص ٢٣٦.

(٣) ينظر: بدائع الفوائد ٩/٤، والبرهان في علوم القرآن ٢٠٠/٢ .

(٤) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي للمثنى عبد الفتاح محمود ص ١٤.

تؤدي بمجموعها غرضاً أو أغراضًا خاصة لمجموع السور تسمى (وحدة السورة) وأظهر ما يتبين أثر هذا النوع من السياق في القصص و التشريعات.

٣ - **سياق السورة**: وهو المحور العام والغرض الرئيس لكل سورة في القرآن الكريم يستخلص من سياقها العام، وتكون المقاطع ذات الأغراض الخاصة في السورة خادمة لهذا المحور العام والغرض الرئيسي؛ فتتناسق أوضاعها وتتآلف عناصرها حتى تصبح وحده محكمة لا انفصال لها

٤ - **السياق العام للقرآن:** ويراد به: الأغراض والمقاصد الأساسية للقرآن ومعانيه الكلية وأساليبه المطردة.[١]

وسوف أتناول في الدراسة من هذه الأنواع، النوع الأول وهو ما يتعلق بسياق الآية حيث أقوم بتحديد المعنى المراد بالمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا) الواردة في الآية من خلال معانيها المتعددة والمحتملة بواسطة السياق.

---

(١) ينظر: السياق القرآني و أثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير رسالة ماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى للباحث عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري ص ١٠٦ – ١١٧، سنة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م. بتصرف.

المبحث الأول:

الدلالات اللغوية للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا)

أولًا: المعنى المعجمي لمادة (ز ك ا)

تنوعت الدلالة اللغوية لهذه المادة عند أصحاب المعاجم العربية فشملت المعاني التالية: **الطهر والصلاح، والمدح، والتطهر، والصدقة، وقدر من المال واجب شرعًا،**

وقد وردت هذه المعاني في معجم ألفاظ القرآن الكريم وهي كالتالي:(١)

زكا يزكو: طهر وصلح قال تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ } [النور: ٢١]، زَكَّاهَا: طهرها وأصلحها قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} [الشمس: ٩]، وتُزَكُّوا أنفسكم: تمدحوها وتنسبوها للطهر والصلاح، قال تعالى: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} [النجم: ٣٢]، وَتُزَكِّيهِمْ: تصلحهم وتطهرهم، قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} [التوبة: ١٠٣]، يُزَكُّونَ: يمدحون وينسبون أنفسهم للصلاح قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ} [النساء: ٤٩]، يُزَكِّي – يزكيه: ينسبه للطهر والصلاح قال تعالى: {بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ } [النساء: ٤٩]، ويُزَكِّي يصلح ويطهر: قال تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النور: ٢١]، وَيُزَكِّيكُمْ: يطهركم ويصلحكم، قال تعالى: {يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ} [البقرة: ١٥١]، وَيُزَكِّيهِمْ: يطهرهم ويصلحهم، قال تعالى: {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ} [البقرة: ١٢٩] وينسبهم إلى الطهر والصلاح، قال تعالى: {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ} [البقرة: ١٧٤]، تَزَكَّى: تطهر، أو تتطهر، قال تعالى: {وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى} [طه: ٧٦] وقوله: {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى } [النازعات: ١٨]

يزَّكَّى: يتطهر، وأصله يتزكى قال تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} [عبس: ٣]، أزكى: من زكا يزكو: أصْلَح وأطْهَر قال تعالى: {ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ } [البقرة: ٢٣٢]، وأزكى طعامًا: أصلحه وأجوده قال تعالى: {فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا } [الكهف: ١٩]

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية ص ٥٢٨ – ٥٣٠.

الزكاة: الطهر والصلاح، قال تعالى: {فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا } [الكهف: ٨١]، والزكاة: الصدقة، قال تعالى: {وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ} [الروم: ٣٩] وقال تعالى: {وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا } [مريم: ٣١]، والزكاة: قدر من المال واجب شرعا للفقراء، وإذا اقترن بالإتيان ونحوه فالمراد إخراجه قال تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } [البقرة: ٤٣] وزَكِيًّا: طاهرًا صالحًا ومؤنثه زَكِيَّةً، قال تعالى: {قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا} [مريم: ١٩]، وقال تعالى: { قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ } [الكهف: ٧٤]

وهناك بعض المعاني الأخرى لهذه المادة ذكرها أصحاب المعاجم اللغوية وهي:

الزيادة والنماء: يقول ابن الأنباري: "الزكاة، معناها في كلام العرب: الزيادة والنماء. فسميت زكاة لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه، وتوفره، وتقيه من الآفات."[١] ، وفي المفردات: "أصل الزَّكَاةِ: النّموّ الحاصل عن بركة الله تعالى، ... يقال: زَكَا الزّرع يَزْكُو: إذا حصل منه نموّ وبركة...ومنه الزَّكاةُ: لما يخرج الإنسان من حقّ الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النّفس، أي: تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعا، فإنّ الخيرين موجودان فيها.[٢]

الخصب والنعيم: " ففي الصحاح: "زكا الرجل يَزْكو زُكُوّاً، إذا تنعَّم وكان في خصب."[٣]، وفي المحكم : "الزَّكاء، مَمْدُود: النَّمَاء والرَّيْع."[٤]، وأَرض زكية طيبَة خصبة[٥]

إعطاء الزكاة والصدقات: يقول الجوهري: "وزَكَّى ماله تَزْكِيَةً، أي أدَّى عنه زَكاتَهُ. وتَزَكَّى، أي تصدّق."[٦]

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ١٧٦،١٧٧.
(٢) المفردات (ز ك ا) ص ٣٨٠.
(٣) الصحاح (ز ك ا) ٦/ ٢٣٦٨.
(٤) المحكم (ك ز و) ٧/ ١٢٦.
(٥) المعجم الوسيط (ز ك ا) ١/ ٣٩٧.
(٦) الصحاح (ز ك ا) ٦/ ٢٣٦٨.

آخذ الزكاة والصدقات: يقول الزمخشري: "وهو مُصدق بني فلان ومزكيهم: آخذ صدقاتهم وزكواتهم، وقد زكاهم وصدقهم،[١]، وزَكَّاه: إذا أخذ زكاته." [٢]

الشفع (الزوج): يقول ابن فارس: وَالزَّكَا: الزَّوْجُ، وَهُوَ الشَّفْعُ."[٣] وفي اللسان: "والزَّكا، مَقْصُورٌ: الشَّفْعُ مِنَ العدد...وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْفَرْدِ خَساً وَلِلزَّوْجَيْنِ اثْنَيْنِ زَكاً، وَقِيلَ لَهُمَا زَكاً لأَن اثْنَيْنِ أَزْكَى مِنْ وَاحِدٍ"[٤]

الحفظ والرعاية: يقول الزبيدي: " وأَزْكَى المالَ: أَوْعاهُ"[٥]، أي حفظه.

اسم قرية: يقول الصغاني: "وزَكِيّة: قَرْيَةٌ من أعْمَال البصرةِ بينها وبين وَاسِطَ."[٦]

فأغلب استعمالات هذه المادة تدور حول الزيادة والنماء والطهارة والمديح، يقول ابن الأثير: "وَأَصْلُ الزَّكَاةِ فِي اللُّغة الطَّهارةُ والنَّماءُ والبركَةُ والمدحُ، وكُلُّ ذَلِكَ قَدِ اسْتُعمل فِي القُرآن وَالْحَدِيثِ."[٧]

ثانياً: المعنى الحقيقي والمجازي لمادة (ز ك ا) وتطوره

أصل مادة (ز ك ا) يدل على الطهارة والنماء". يقول ابن فارس: "الزَّاءُ وَالْكَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَمَاءٍ وَزِيَادَةٍ. وَيُقَالُ الطَّهَارَةُ زَكَاةُ الْمَالِ. قَالَ بَعْضُهُمْ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا مِمَّا يُرْجَى بِهِ زَكَاءُ الْمَالِ، وَهُوَ زِيَادَتُهُ وَنَمَاؤُهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: سُمِّيَتْ زَكَاةً لِأَنَّهَا طَهَارَةٌ.... وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ رَاجِعٌ إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَهُمَا النَّمَاءُ وَالطَّهَارَةُ."[٨]

والطهارة والنماء يكونان باتجاهين أحدهما حسي والأخر معنوي، فالحسي في الطهارة كما

---

(١) أساس البلاغة (ز ك ا) ١/ ٤١٨.

(٢) شمس العلوم ٥/ ٢٨١٩.

(٣) مقاييس اللغة (ز ك ا) ٣/ ١٨.

(٤) لسان العرب (ز ك و) ١٤/٣٥٨، ٣٥٩.

(٥) تاج العروس (ز ك و) ٣٨/ ٢٢٤.

(٦) التكملة والذيل والصلة للصغاني (ز ك ا) ٦/ ٤٣١.

(٧) النهاية ٢/ ٣٠٧.

(٨) مقاييس اللغة (ز ك ا) ٣/ ١٧، ١٨.

في قولهم: "وزَكَاةُ الأرضِ: يُبْسُها، أَي طَهارَتُها مِن النجاسَةِ. كَالْبَوْلِ وأَشباهه بأَن يَجِفَّ وَيَذْهَبَ أَثرُه.[1]، والمعنوي كما في زكاة المال وهو تطهيره.[2]، أو النفس كما في قوله تعالى: ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾[الكهف:٧٤] أي: بريئة طاهرة لم تجن ما يوجب قتلها. وقوله تعالى: ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٩] أي: طاهرًا صالحًا. وقوله تعالى: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [النور:٢١] أي: ما طهر.[3]، أو بمعنى التقوى والصلاح. "والزكاة الصلاح، تقول: رجل زكيٌّ تقي، ورجال أزكياءُ أتقياء.، قال الله عز وجل: ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ [الكهف:٨١]، أي: طهرًا وصلاحًا وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس:٩] أي: طهرها وأصلحها."[4]

أما الاتجاه الحسي في النماء والزيادة فهو في: "زَكَا الزرع: إذا ازداد ونما وكثر ريعه أو في الزَّكَاة وَهِي النَّمَاء وَالزِّيَادَة، سميت بذلك؛ لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه، وتوفره، وتقيه من الآفات وتنميه[5]، وكما في قولهم: " وَأَرْض زَكِيَّة: طيِّبة سَمينة، أو طيبَة خصبة؛ لأنها تُنَمَّى الزرع مع كونه جيدًا بين جنسه.[6]، والمعنوي: فقد جاء بمعنى البركة فيقال: "زكت النَّفَقَة إِذا بورك فِيهَا وزكَّى الرجل ماله تزكية: أدى زكاته لأنه ينميه بما يبارك الله له فيه، وسميت الزكاة زكاة للبركة التي تظهر في المال بعدها يقال: زكا الشيء يزكوا، إذا كثر ودخلت فيه البركة، أو لتزكية النّفس أي: تنميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعا.[7]

---

(١) لسان العرب (ز ك ا) ١٤/ ٣٥٨، و تاج العروس (ز ك و) ٣٨/ ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) العين (ك ز و) ٥/ ٣٩٤)

(٣) الغريبين ٣/ ٨٢٥، ٨٢٦.

(٤) العين (ك ز و) ٥/ ٣٩٤، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ص٥٢٨، ٥٢٩.

(٥) العين (ك ز و) ٥/ ٣٩٤، وغريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٨٤، والزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ١٧٦، والغريبين ٣/ ٨٢٥ .

(٦) المحكم (ك ز و) ٧/ ١٢٦، والمعجم الوسيط (ز ك ا) ص ٣٩٧، والمعجم الاشتقاقي المؤصل (ز ك و) ٢/ ٩٠٨.

(٧) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٨٤، والمفردات (ز ك ا) ص٣٨١.

أو بمعنى الزيادة في الخير والفضل والصلاح مثل: "فلان زكيّ، معناه: متزايد في الخير والفضل بين الزكاء والزكاة. وهذا أزكى من ذاك، أي: أزيد فضلاً منه. وقد زكّى القاضي العدول: إذا بيَّن زيادتهم في الفضل. قال الله جل اسمه:: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة:٢٣٢] أي: أنمى وأعظم بركة.(١)

ثم تطورت دلالة هذه المادة فدلت على معان أخرى حسية مثل: "زكا الرجل زكوّاً: إذا تنعّم وكان في خصبٍ."(٢)، والزكا: الشفع من العدد ضدُّ الخَسَا ، والخَسَا للفَرْدِ مِنْهُ، والزوجان ضد الفرد، قيلَ للشِّفْع زَكاً لأنَّ الزَّوْجَيْن أَزْكَى مِن واحِد(٣)، كما دلت أيضًا على معان أخرى مجازية مثل: زكا الرجلُ زَكاءً: صار عدلاً مرضياً، قَالَ أَبُو عليّ: الزَّكاةُ: صِفوة الشَّيْء. وَهَذَا الْأَمر لَا يزكو بك زَكَاءً: أَي لَا يَلِيق. وزَكَّى نفسَه تَزْكِيةً: مدحها ونسبها إلى الزكاء. ولفلان عمل زاك، وقد زكا عمله إذا فضل. وزَكَّى الرَّجُلُ نفسَه إذا وَصَفَهَا وأَثنى عَلَيْهَا.(٤)

فهذه الألفاظ يلحظ فيها معنى الزيادة، وذلك لأن من تنعم وعاش في خصب ارتفع وزاد عن غيره في العيش بسبب التنعم والترف، كذلك الزوج أكثر وأنمى من الفرد بزيادة الزائد عليه حتى صار شفْعًا، وإذا أصبح الرجل عدلا زاد عن غيره في الرفعة والشرف، وصفوة الشيء أفضله وأعلاه وفي هذا من الزيادة ما فيه، وفي مدح الإنسان نفسه والثناء عليها زيادة في صلاحها ورفعتها عن غيرها، كذلك إذا فَضُلَ العمل زاد عن غيره وارتفع، فمعنى الزيادة والنماء متحقق فيها بما يثبت أن اللفظة وإن تطورت دلالتها وتغير استعمالها؛ إلا أنها ترتبط بأصلها اللغوي والمعجمي، لكنها تختلف في دلالاتها بحسب السياق المعجمي أو الاجتماعي الذي تقع فيه.

---

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس ٢/ ١٧٦، والغريبين ٣/ ٨٢٤، ٨٢٥، وأساس البلاغة ١/ ٤١٨، العروس٣٨/٢٢٣. (ز ك و)

(٢) الجراثيم ١/ ٣٥٩.

(٣) تاج العروس ٣٨/٢٢٣، والمعجم الاشتقاقي المؤصل ٢/ ٩٠٨ (ز ك و).

(٤) ينظر: المحكم (ز ك و) ٧/ ١٢٦، وأساس البلاغة (ز ك و) ١/ ٤١٨، واللسان (ز ك ا) ١٤/ ٣٥٨.

المبحث الثاني:

الدلالات السياقية للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا)

وردت المفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ستة وخمسين موضعًا، في تسع وعشرين سورة من القرآن الكريم، وقد جاءت بعدة معان مختلفة ومتنوعة حسب سياق الآية الواردة فيها، كما تنوعت هذه المعاني بين الحقيقية والمجاز، وسوف أقوم بدراسة هذه المعاني في المواضع التي وردت فيها ألفاظها بحسب الدلالات السياقية لها وتنوعها بين الحقيقة والمجاز، وحسب ترتيب ورودها في سور القرآن الكريم.

المطلب الأول: الدلالة الحسية للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا) ومشتقاتها:

ورد هذا المعنى الحقيقي للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا) في القرآن ويقصد بها إخراج الأموال، وهذا المعنى هو أكثر المعاني ورودًا في القرآن الكريم لهذه المفردة القرآنية، فقد وردت هذه المفردة حوالي ثلاثين مرة ، منها ست وعشرون مرة يراد بها الزكاة المفروضة على المسلمين، وثلاث مرات يراد بها الزكاة المفروضة على بني إسرائيل، ومرة واحدة يراد بها الصدقة.

أولًا: بمعنى الزكاة المفروضة على المسلمين:

١ – قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]"

هذه الآية تتحدث عن أحبارَ اليهود والمنافقين في عهد النبي -ﷺ- حيث كانوا يأمرون الناس بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولا يفعلونه، فأمرهم الله- ﷻ-بذلك فقال: " استجيبوا للإيمان، فأدُّوا الصلاة مستقيمة الأركان، وأعطوا الزكاة لمستحقيها، وصلوا مع جماعة المسلمين ثواب الصلاة وثواب الجماعة. (١)

وقد اختلف أهل العلم في المراد بـ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا إلى ثلاثة أقوال، فقيل: المراد الزكاة المفروضة لاقترانها بالصلاة، وقيل: صدقة الفطر قاله مالك، وقيل: المراد طاعة الله تعالى

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ١١.

والإخلاص عن ابن عباس.[١]، وبالتأمل في هذه الأقوال الثلاثة نجد أن السياق يرجح القول الأول، وهو الزكاة المفروضة؛ وذلك لأن سياق الآية يتناول الحديث عن اليهود ومخاطبتهم، وأن هذا كان "مَعْلُومًا عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ فِي حَالِ وُرُودِ الْخِطَابِ، أَوْ أَنَّه كَانَ مُجْمَلًا وَرَدَ بَعْدَهُ بَيَانُ الْمُرَادِ فَحَصَلَ ذَلِكَ مَعْلُومًا."[٢]، وفي هذا دلالة "على أن الكفار مُخَاطَبُونَ بِفُرُوعِ الشَّرَائِعِ"[٣]، "فالآية، أمر بلزوم الشرائع عليهم بعد الإيمان، وذلك إقامة الصلاة بفروضها، والمحافظة عليها، وإعطاء الصدقة المفروضة، والركوع لله، أي الخضوع لأوامره."[٤]

وقد رجَّح هذا القول واختاره أكثر المفسرين، يقول ابن عطية: " والزَّكاةَ في هذه الآية هي المفروضة بقرينة إجماع الأمة على وجوب الأمر بها"[٥]، ويقول الثعالبي: "والزكاة في هذه الآية هي المفروضة، وهي مأخوذة من النماء، وقيل: من التطهير[٦].وكلا الْمَعْنيين مَوْجُود فِي الزَّكَاة الْمَفْرُوضَة؛ لِأَن فِيهَا تنمية المَال وتطهيره.[٧] ويقول الألوسي: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المراد بهما صلاة المسلمين وزكاتهم "[٨]

أما من ذهب إلى أن المراد بها زكاة الفطر محتجًا بقول للإمام مالك ففيه نظر، لأن المراد المعنى الأول "وهو قول أكثر العلماء... وأما زكاة الفطر فليس لها في الكتاب نص يدل عليها إلا ما تأوله مالك هنا"[٩]، وذكر ابن عبد البر أن الإمام مالك صرح بأن المقصود

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٤٣، والبحر المحيط ١/ ٢٩٢، وتفسير ابن كثير ١/ ٢٤٦، وفتح القدير ١/ ٩٠.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١/ ٣٨.

(٣) مفاتيح الغيب ٣/ ٤٨٦، ٤٨٧.

(٤) محاسن التأويل ١/ ٣٠٠.

(٥) المحرر الوجيز ١/ ١٣٦.

(٦) الجواهر الحسان ١/ ٢٢٨.

(٧) تفسير السمعاني ١/ ٧٣.

(٨) روح المعاني ١/ ٢٤٨.

(٩) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٤٤.

بالزكاة في هذه الآية، الزكاة عامة بما فيها زكاة الفطر، ففي التمهيد: " وفي سماع زياد بن عبد الرحمن من مالك قال مالك سئل عن تفسير قول الله -ﷻ- ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾هي التي قرنت بالصلاة قال فسمعته يقول هي زكاة الأموال كلها من الذهب والورق والثمار والحبوب والمواشي وزكاة الفطر"(١)

وبذلك يكون المقصود بالزكاة هنا هي الزكاة المفروضة وهو ما رجحه سياق الآية، وأجمع عليه أكثر أهل العلم، واقتران ذكرها مع الصلاة في أكثر أي القرآن الكريم "فقلما حث الله تعالى على إقامة الصلاة، أو مدح بها، إلا قرن بها إيتاء الزكاة، فبهما يتم الإيمان."(٢).

٢ – قال تعالى﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:١١٠]

لمَّا أخبر الله عز وجل في الآية السابقة عن حسد كثير من أهل الكتاب، وأنهم بلغت بهم الحال، أنهم ودوا لو يصدونكم ويردونكم يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ عن التوحيد مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً. فأعرضوا عنهم، واعفوا واصفحوا حتى يأذن الله لكم بمسلك آخر حيالهم ، ثم أمرهم الله في الوقت الحاضر بالمحافظة على شعائر دينهم، فقال: أقيموا الصلاة، وأعطوا الزكاة، وما تقدموا لأنفسكم من أعمال طيبة وصدقة تجدوا ثوابه عند الله. إن الله بما تعملون عليم، علم من يبصر ويرى. (٣)

ومفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا جاءت بمعناها الحقيقي حيث يراد بها زكاة الأموال التي افترضها الله على المسلمين، فسياق الآية يتناول ما أمر الله به المؤمنين من العفو والصفح عن اليهود ثم أمرهم بما فيه صلاح أنفسهم من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة الواجبتين(٤)، وقد مضت سنة القرآن بقرن الزكاة بالصلاة؛ لأن الصلاة لإصلاح نفوس الأفراد، والزكاة لإصلاح شئون

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ١٤/ ٣٢٣.
(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ١٧٣.
(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٢٥.
(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل١/ ٧٠.

الاجتماع، ثم إن فيها من معنى العبادة ما في الصلاة، فإن المال – كما يقولون – شقيق الروح، فمن جاد به ابتغاء مرضاة الله – تعالى – كان بذله مزيدًا في إيمانه، فهي إصلاح روحي أيضًا.(١)

٣- قال تعالى﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]

في هذه الآية يتحدث المولى –عزوجل– عن جميع وجوه الخير وعن جميع الطاعات الباطنة والظاهرة فقال: "ليس الخير عند الله –تعالى– في التوجه في الصلاة إلى جهة المشرق والمغرب إن لم يكن عن أمر الله وشرعه، ولكن ملاك الخير عدة أمور بعضها من أركان العقيدة الصحيحة، وبعضها من أمهات الفضائل والعبادات، فالأول هو: الإيمان بالله ويوم البعث والنشور والحساب وما يتبعه يوم القيامة، والإيمان بالملائكة وبالكتب المنزلة على الأنبياء وبالأنبياء أنفسهم. والثانى هو: بذل المال عن رغبة وطيب نفس للفقراء من الأقارب واليتامى، ولمن اشتدت حاجتهم وفاقتهم من الناس، وللمسافرين الذين انقطع بهم الطريق فلا يجدون ما يبلغهم مقصدهم، وللسائلين الذين ألجأتهم الحاجة إلى السؤال، ولغرض عتق الأرقاء وتحرير رقابهم من الرق. والثالث: المحافظة على الصلاة. والرابع: إخراج الزكاة المفروضة. والخامس: الوفاء بالعهد فى النفس والمال. والسادس: الصبر على الأذى ينزل بالنفس أو المال، أو وقت مجاهدة العدو فى مواطن الحروب فالذين يجمعون هذه العقائد والأعمال الخيرة هم الذين صَدَقوا فى إيمانهم، وهم الذين اتقوا الكفر والرذائل وتجنبوها.(٢)

---

(١) تفسير المنار ١/ ٣٤٨.

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٣٩.

وقد جاء استعمال مفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا على حقيقتها حيث قصد بها الزكاة المفروضة وهو ما أجمع عليه المفسرون(١)، وسياق الآية هنا يتحدث عن أعمال الخير والحث عليه ومنها الإنفاق والتنفل بالصدقات والبرّ والصلة، كما أنها تتحدث عن مصارف الزكاة الشرعية (٢) فناسب السياق أن يكون ذكر الزكاة بعدها، يضاف لذلك أن اقتران الزكاة بالصلاة في التنزيل لا يراد بها إلا زكاة المال؛ لأن "الصلاة مهذبة للروح، والمال قرين الروح، فبذله في سبيل الحق ركن عظيم من أركان البر، وآية من أظهر آيات الإيمان"(٣)، وعلى ذلك فالمراد بـ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا هي الزكاة المفروضة.

٤ – قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٧]

جاءت هذه الآية عقب الحديث عن الربا، فبعد أن توعد الله –سبحانه وتعالى– المرابين بمحق أموالهم، ووصمهم بالكفر الشديد لنعمه، بما ارتكبوا من هذا الإثم الغليظ الذي يعرضهم لسخط الله وعذابه، شرع في بيان ثواب الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا الأعمال الطيبة، وأدَّوا الصلاة كما أمر الله ورسوله، وأخرجوا زكاة أموالهم، بأن لهم ثوابهم العظيم المدَّخر عند ربهم، ولا خوف عليهم من شيء في المستقبل، ولا هم يحزنون على شيء فاتهم من حظوظ دنياهم.(٤)،

وجاءت مفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا أيضًا على حقيقتها لأن سياق الآيات قبل هذه الآية يتحدث عن حرمة الربا والنهي عنها، فكان لذكر الزكاة هنا آثاره في التحريض على البذل والإنفاق على ذوى الحاجات، حتى لا تضطرهم الحاجة إلى التعامل بالربا.(٥)

---

(١) ينظر: جامع البيان٣/ ٣٤٧، ، والمحرر الوجيز ١/ ٢٤٣، وفتح القدير ١/ ١٩٩.

(٢) ينظر: محاسن التأويل ١/ ٤٨٣، تفسير البيضاوي ١/ ١٢١.

(٣) ينظر: محاسن التأويل ١/ ٤٨٤، وتفسير المنار ٢/ ٩٥.

(٤) التفسير الميسر ١/ ٤٧، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٦٦.

(٥) التفسير القرآني للقرآن ٢/ ٣٥٩.

وسياق الآية التي وردت فيها مفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يدل على أنها الزكاة المفروضة حيث "بيَّن سبحانه جزاء الصالحين الذين لَا يأكلون الربا، والذين يستبدلون بأكل أموال الناس بالباطل: الزكاة يؤدونها، والفرائض يقيمونها، وحق الله والناس في أنفسهم وأموالهم يأتون به على الوجه الأكمل".(١) وعلى ذلك فالمراد بـ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا هي الزكاة المفروضة.

٥ – قال تعالى﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧]

هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا قد آمنوا به وصدقوه قبل أن يُفرض عليهم الجهاد، وقد فرضت عليهم الصلاة والزكاة، وكانوا يسألون الله أن يفرض عليهم القتال، فلما فُرض عليهم القتال شقّ عليهم ذلك.(٢)، وقالوا مستغربين: "لِمَ كتبت علينا القتال؟ متوهمين أن في فرضية القتال تعجيلاً لآجالهم ولذلك قالوا: هلاَّ أخرتنا إلى زمن قريب نستمتع فيه بما في الدنيا؟ فقل لهم: تقدموا للقتال ولو أدى إلى استشهادكم، فمتاع الدنيا مهما عَظُمَ قليل بجوار متاع الآخرة، والآخرة خير وأعظم لمن اتقى الله وستجزون على أعمالكم في الدنيا ولا تنقصون من الجزاء شيئا مهما صغر".(٣)

ونجد أن مفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا جاءت على حقيقتها أيضًا فقُصِدَ بها زكاة الأموال، وذلك لأن سياق الآية يتحدث عن حال المسلمين في بدء الدعوة الإسلامية وتمكين الدين قبل أن يُشرع القتال، فأُمروا بأن يكفوا عن القتال وقتًا ينظم فيه الأمر بتقوية أرواحهم، وتوجيهها إلى الله تعالى لتخلص لله وحده(٤)، وذلك بإقامة الصلاة التي فرضها الله عليهم بحدودها،

---

(١) زهرة التفاسير ٢/ ١٠٥٢.

(٢) جامع البيان ٨/ ٥٤٧.

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ١٢٢ .

(٤) زهرة التفاسير ٤/ ١٧٦٩.

وإيتاء الزكاة لأهلها الذين جعلها الله لهم من أموالهم، تطهيرًا لأبدانهم وأموالهم، وقد "دلت الآية على أن إيجاب الصلاة والزكاة كان مقدمًا على إيجاب الجهاد، وهذا هو الترتيب المطابق لما في العقول، لأن الصلاة عبارة عن التعظيم لأمر الله، والزكاة عبارة عن الشفقة على خلق الله ولا شك أنهما مقدمان على الجهاد."[1] فالمراد بها هنا الزكاة المفروضة.

٦- قال تعالى﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٦٢]

لما ذكر الله سبحانه وتعالى فضائح اليهود واجتراحهم الذنوب والآثام فحرم الله عليهم طيبات كان أحلها لهم، ومن هذه الآثام نقض الميثاق مع ربهم، وكفرهم بآياته وقتلهم الأنبياء وقول البهتان على مريم، والصد عن سبيل الله وأخذ الربا وأكل أموال الناس بالباطل، ذكر الممدوحين منهم فقال: لكنِ المتثبتون في العلم من اليهود والمؤمنون من أمتك – أيها النبي – يُصدِّقون بما أُوحى إليك وما أُوحى إلى الرسل من قبلك. والذين يؤدون الصلاة حق الأداء، ويعطون الزكاة، ويصدقون بالله وبالبعث والحساب، أولئك سيجزيهم الله على إيمانهم وطاعتهم أحسن الجزاء.[2]

ومفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في هذه الآية جاءت على حقيقتها حيث يراد بها الزكاة الشرعية؛ لأن سياق الآية في معرض الحديث عن الراسخين في العلم من أهل الكتاب الذين أسلموا من علماء اليهود مثل عبد الله بن سلام وأصحابه، وعن المؤمنين من أمة محمد ﷺ من المهاجرين والأنصار، وأنهم يؤمنون بالقرآن وبالكتب المنزلة، ثم وصفهم بصفات المدح من امتثال أشرف أوصاف الإيمان الفعلية البدنية وهي: الصلاة، والمالية وهي الزكاة، ثم ارتقى في المدح إلى أشرف الأوصاف القلبية الاعتقادية وهي الإيمان بالموجد الذي أنزل الكتب وشرع فيها الصلاة والزكاة، وباليوم الآخر وهو البعث والمعاد الذي يظهر فيه ثمرة الإيمان

(١) مفاتيح الغيب ١٠/ ١٤٣.

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص١٤٠.

وامتثال تكاليف الشرع من الصلاة والزكاة وغيرهما.[١] فالمراد بها هنا أيضًا الزكاة المفروضة.

٧- قال تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥]

لما نهى الله تعالى في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار، أمر في هذه الآية بموالاة من يجب موالاته فقال: "إنما ولايتكم - أيها المؤمنون - لله ورسوله وأنفسكم، ممن يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وهم خاضعون لله."[٢]

واختُلف في مفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾هنا هل يقصد بها الفريضة أم صدقة التطوع، فذهب بعض العلماء إلى أن المقصود بها صدقة التطوع واستدلوا على ذلك بأن عليًا بن أبي طالب -ﷺ- تصدق بخاتمه وهو راكع في الصلاة. يقول الماتريدي: " الصدقة التطوع تسمى زكاة؛ لأن صدقة علي -ﷺ- بالخاتم لم تكن صدقة مفروضة، بل كانت تطوعًا؛ فسماها الله زكاة وإن كانت تطوعًا؛ ألا ترى أنه قال في آية أخرى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ﴾ {الروم:٣٩}، فسماها الله زكاة، وإن كانت تطوعًا؛ كما تسمى صلاة الفرض والتطوع: صلاة، وصوم التطوع والفرض: صيامًا؛ فعلى ذلك هذا." [٣]، وذهب بعضهم إلى أن المقصود بها الفريضة، يقول ابن عطية: "﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وهي هنا لفظ عام للزكاة المفروضة وللتطوع بالصدقة ولكل أفعال البر، إذ هي تنمية للحسنات مطهرة للمرء من دنس الذنوب."[٤]

وبتأمل هذه الآراء يمكن ترجيح القول الثاني وهو أن المراد بها الزكاة المفروضة؛ لأن سياق الآية يتحدث عن من تجب موالاته بعد الله ورسوله، وهم المؤمنون المتصفون بهذه

---

(١) البحر المحيط ٤/ ١٣٦.

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ١٥٦.

(٣) تأويلات أهل السنة ٣/ ٥٤٦.

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٢٠٨.

الصفات – الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون– ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنافقين لأن المنافقين كانوا يدعون أنهم مؤمنون إلا أنهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة، فوصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يقيمون الصلاة يعني بتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها، ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة أموالهم إذا وجبت عليهم."(١)

أما القول القائل بأن المقصود بـ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾هنا صدقة التطوع ففيه نظر؛ لأن "حمل الزكاة على الصدقة النافلة خلاف الأصل لما بيَّنا أن قوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ظاهره يدل على أن كل ما كان زكاة فهو واجب."(٢)، كما أن حمل لفظ الزكاة على التصدق بالخاتم فيه بُعْد، "لأن الزكاة لا تأتي إلا بلفظها المختص بها وهو الزكاة المفروضة... وأيضًا فإن قبله ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ومعنى يقيمون الصلاة يأتون بها في أوقاتها بجميع حقوقها، والمراد صلاة الفرض."(٣). وعقبها بأنهم يؤتون الزكاة "مبادرة بالتنويه بالزكاة، كما هو دأب القرآن. وهو الذي استنبطه أبو بكر– ﷺ– إذ قال: «لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة»(٤).

"وأما استدلالهم بأن الآية مختصة بمن أدى الزكاة حال كونه في الركوع، وذلك هو علي بن أبي طالب فنقول: هذا أيضًا ضعيف من وجهين: الأول: أن الزكاة اسم للواجب لا للمندوب بدليل قوله تعالى ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] فلو أنه أدى الزكاة الواجبة في حال كونه في الركوع لكان قد أخَّر أداء الزكاة الواجب عن أول أوقات الوجوب، وذلك عند أكثر العلماء معصية، وأنه لا يجوز إسناده إلى علي– ﷺ–"(٥)

الثاني: "أن عليًا –ﷺ– ما كان يجب عليه الزكاة، ولو سلم فاللائق بحاله أن يكون في

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ٢/ ٥٦.

(٢) مفاتيح الغيب ١٢/ ٣٨٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٢٢.

(٤) التحرير والتنوير ٦/ ٢٤٠.

(٥) مفاتيح الغيب ١٢/ ٣٨٦.

الصلاة مستغرق القلب بالله فلا يتفرغ لاستماع كلام السائل ولا إلى دفع الخاتم إليه لأنه عمل كثير"[١]. فهذا كله يرجح ويقوي أن المقصود بالزكاة هنا هي الفريضة.

٨- قال تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٥]

هذه الآية تتحدث عن مشركي قريش، الذين عاهدهم رسول الله ﷺ زمن الحديبية، وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر. فأمر الله نبيه أن يوفي لهم عهدهم إلى مدتهم، فقال: "فإذا انقضت مدة الأمان – الأشهر الأربعة – فاقتلوا المشركين الناقضين للعهد في كل مكان، وخذوهم بالشدة، واضربوا الحصار عليهم بسد الطرق، واقعدوا لهم في كل سبيل فإن تابوا عن الكفر، والتزموا أحكام الإسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلا سبيل لكم عليهم لدخولهم في دين الله، والله عظيم المغفرة لمن تاب، واسع الرحمة بعباده."[٢]

والحديث هنا خاص بمفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ حيث اختُلف في معناها إلى ثلاثة أقوال:

الأول: عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ حيث فسَّر معنى الزَّكَاة هنا بطَاعَةَ اللهِ، وَالإِخْلاصَ.[٣]

الثاني: عنِ الْحَارِثِ الْعُكْلِيِّ حيث فسر معنى الزَّكَاة هنا بصدقة الفطر.[٤]

الثالث: وهو لجمهور المفسرين حيث فسروا معنى الزَّكَاة هنا بالزكاة المفروضة التي أوجبها الله عليهم في أموالهم[٥]

فنحن هنا نقف أمام ثلاثة أقوال لتفسير معنى﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾في هذه الآية، ولكل رأي وجهته في ذلك، لكن يأتي السياق هنا ويلعب دوره في ترجيح وترشيح المعنى الأقرب الذي يدل عليه

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢/ ٦٠٦.

(٢) جامع البيان ١٤/ ١٣٣، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٢٥٨.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٦/ ١٧٥٤.

(٤) السابق نفسه.

(٥) جامع البيان ١٤/ ١٣٥، وبحر العلوم ٢/ ٤٠ و لباب التأويل في معاني التنزيل ٢/ ٣٣٧.

لفظ الزكاة في هذه الآية وهو "الزكاة المفروضة من الأموال والمواشي والثمار"، حيث إن سياق الآية يتحدث عن المشركين وتوبتهم من الشرك والكفر، "والتوبة تتضمن الإيمان وترك ما كانوا فيه من المعاصي، ثم قرن بها إقامة الصلاة وهي أفضل الأعمال البدنية، وإيتاء الزكاة وهي أفضل الأعمال المالية، تنبيها على مكان الصلاة والزكاة من الشرع، وبهما تظهر القوة العملية، كما بالتوبة تظهر القوة العلمية عن الجهل، ولهذا كثيرًا ما يقرن الله بين الصلاة والزكاة."(١)، كما قرن بينهما النبي ﷺ في حديثه فقد جاء في الصحيحين عن ابن عمر-رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة".(٢)، وقرن بينهما أصحابه من بعده فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود-رضي الله عنه- قَالَ: «أُمِرْنَا بِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، فَمَنْ لَمْ يُزَكِّ فَلَا صَلَاةَ لَهُ»(٣)

وهناك قرينة أخرى تقوي هذا السياق وهي أن أبا بكر الصديق-رضي الله عنه- اعتمد في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها، فقد قال أبو بكر-رضي الله عنه- عقب قول النبي ﷺ السابق: "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها. وفي رواية، عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها"(٤)، وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم: " افترض الله الصلاة والزكاة جميعًا ولم يفرق بينهما، وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة، وقال: يرحم الله أبا بكر، ما كان أفقهه."(٥) فهذا كله يرجح ويقوي أن المقصود بالزكاة هنا هي الزكاة المفروضة على المسلمين.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٣/ ٨، والبحر المحيط ٥/ ٣٧٣ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ١١١ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه باب بَابٌ: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ رقم ٢٥ جـ١/ ١٤، ومسلم في صحيه بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ رقم ٢٢ جـ ١/٥٢.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم ١٠٠٩٥ جـ١٠/ ١٠٣

(٤) أخرجه البخاري في صحيحة بَابُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ رقم ١٤٠٠ جـ٢/١٠٥.

(٥) الكشف والبيان ١٥/٥ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ١١١.

٩- قال تعالى ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة:١١]

لا زالت الآيات تتحدث عن مشركي مكة الذين عاهدهم رسول الله ﷺ زمن الحديبية ثم نقضوا العهد معه فيقول جل ثناؤه: "فإن تابوا عن الكفر، والتزموا أحكام الإسلام بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فهم إخوانكم في الدين، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، ويبيّن الله الآيات لقوم ينتفعون بالعلم."(١)

ولا يخفى على أي مُبْصِر أن مفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا ظاهرة وواضحة الدلالة في أن المراد منها الزكاة المعروفة- زكاة المال-؛ لأن سياق الآية يدل عليها، ولارتباطها بالآيات التي قبلها، وما قيل في الآية السابقة يصح أن يقال هنا فاستغني به عن ذكره هنا.

١٠- قال تعالى ﴿﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨]

نزلت هذه الآية في قريش؛ لأنهم كانوا يفتخرون، فيقولون: نحن أهل الحَرَم وسقاة الحاجّ، وعُمّار هذا البيت، فأنزل الله عز وجل، صِفة من يجب أن يعمر مساجد الله فقال: "الذين يعمرون مساجد الله، إنما هم الذين آمنوا بالله - وحده - وصدَّقوا بالبعث والجزاء، وأدَّوا الصلاة على وجهها، وأخرجوا زكاة أموالهم، ولم يخشوا إلا الله - وحده- وهؤلاء يرجى لهم أن يكونوا عند الله من المهتدين إلى الصراط المستقيم."(٢)

وواضح وظاهر أن المراد من ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا هي المفروضة على المسلمين، وذلك لأن سياق الآية يتحدث عن صفات عُمَّار المساجد، ومن صفاتهم الإيمان بالله واليوم الآخر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة "ومجيء صيغة القصر فيها مؤذن بأن المقصود إقصاء فرق أخرى عن أن يعمروا مساجد الله، غير المشركين الذين كان إقصاؤهم بالصريح، فتعين أن يكون المراد من الموصول وصلته خصوص المسلمين؛ لأن مجموع الصفات المذكورة في

---

(١) ينظر: جامع البيان ١٤/ ١٥٢، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٢٥٩.

(٢) فتح القدير ٢/ ٣٩٣، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٢٦١.

الصلة لا يثبت لغيرهم، فاليهود والنصارى آمنوا بالله واليوم الآخر لكنهم لم يقيموا الصلاة ولم يؤتوا الزكاة؛ لأن المقصود بالصلاة والزكاة العبادتان المعهودتان بهذين الاسمين والمفروضتان في الإسلام"[1]، واعتبار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في عمارة المسجد "أن الإنسان إذا كان مقيمًا للصلاة فإنه يحضر في المسجد فتحصل عمارة المسجد به، وإذا كان مؤتيًا للزكاة فإنه يحضر في المسجد طوائف الفقراء والمساكين لطلب أخذ الزكاة فتحصل عمارة المسجد به. وأما إذا حملنا العمارة على مصالح البناء فإيتاء الزكاة معتبر في هذا الباب أيضًا لأن إيتاء الزكاة واجب وعمارة المسجد نافلة ولا يشتغل الإنسان بالنافلة إلا بعد إكمال الفريضة الواجبة عليه؛ لأن الإنسان إذا لم يؤدّ الزكاة لا يعمر مسجداً."[2]وناسب ذكر إيتاء الزكاة مع عمارة المساجد "أنها لما كانت مجمعًا للناس بَانَ فيها أمر الغني والفقير، وعُرِفت أحوال من يؤدي الزكاة ومن يستحقها.[3]، وفي هذا دلالة واضحة على أن المراد بـ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا هي المفروضة.

١١- قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]

لما ذكر الله تعالى في الآيات السابقة صفات المنافقين الذميمة وما أعده لهم من العذاب، أعقبه بذكر صفات المؤمنين المحمودة وما أعده لهم من الثواب الدائم والنعيم المقيم فقال:" والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أحباء ونصراء بعض بمقتضى الإيمان، يأمرون بما يأمر به دينهم الحق، وينهون عما ينكره الدين، يؤدون الصلاة في أوقاتها، ويؤتون الزكاة لمستحقيها ويمتثلون ما يأمر به الله ورسوله، ويجتنبون ما ينهى عنه الله ورسوله، وهؤلاء هم الذين سيظلون في رحمة الله، فإن الله قادر على رعايتهم بالرحمة، حكيم في

(١) التحرير والتنوير ١٠/ ١٤١.
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ١٦/ ١٠، ١١، ولباب التأويل٢/ ٣٤٢، اللباب في علوم الكتاب ١٠/ ٤٦.
(٣) البحر المحيط ٥/ ٣٨٧ .

عطائه."[١]

والحديث هنا خاص بمعنى مفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بها: الزكاة المفروضة، يقول الطبري: "﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، ويعطون الزكاة المفروضةَ أهلَها"[٢]، ويقول الخازن:"﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعني الواجبة عليهم"[٣]

وذهب ابن عطية إلى أن المراد بها النافلة وليس الفريضة فقال: "والمدح عندي بالنوافل أبلغ، إذ من يقيم النوافل أحرى بإقامة الفرض"[٤]

وما ذهب إليه ابن عيطة فيه نظر؛ لأن سياق الآيات هنا سياق مقارنة وتقابل بين صفات المؤمنين وصفات المنافقين، فالآيتان ليستا منفصلتين عن السياق حيث قابل المولى –عز وجل– بين عدة صفات مذمومة للمنافقين، وبين مجموع صفات محمودة للمؤمنين، ومن هذه الصفات أنهم "يقيمون الصلاة المفروضة ويتمون أركانها وحدودها، فهي في مقابلة قوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾، ويؤتون الزكاة الواجبة عليهم وهي في مقابلة قوله: ﴿وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ﴾، وخصصهما بالذكر من جملة العبادات لكونهما الركنين العظيمين فيما يتعلق بالأبدان والأموال."[٥]، أيضًا هناك قرينة أخرى تضاف لذلك وهي أن ابن عباس فسر قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قَالَ: "هي الصلوات الخمس."[٦]، وعقَّب القرطبي على ذلك بقوله: "وَبِحَسَبِ هَذَا تَكُونُ الزَّكَاةُ هُنَا الْمَفْرُوضَةَ."[٧]

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٢٧٢.

(٢) جامع البيان ١٤/ ٣٤٧.

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل٢/ ٣٨٣.

(٤) المحرر الوجيز ٣/ ٥٨.

(٥) فتح القدير ٢/ ٤٣٤، وفتح البيان في مقاصد القرآن ٥/ ٣٤٥

(٦) المحرر الوجيز ٣/ ٥٨.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢٠٣.

١٢- قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم:٣١]

هذه الآية تتحدث عن خطاب سيدنا عيسى لليهود عندما تكلم في المهد فقال لهم: "إني عبد الله آتاني الإنجيل، وجعلني نبيًا إليكم، وجعلني مُباركًا مُعلمًا للخير نفَّاعًا للناس، وأمرني بإقامة الصلاة وأداء الزكاة مدة حياتي."(١)

واختلف المفسرون في المراد بـ﴿الزَّكَاةَ﴾ هنا على أربعة أقوال **أحدها**: أنها زكاة الأموال، **وثانيها**: الطهارة من دنس الذنوب، **وثالثها**: الاستكثار من الطاعة، **ورابعها**: زكاة الفطر.

يقول الماوردي: "﴿وَالزَّكَاةَ﴾فيها وجهان: أحدهما: زكاة الأموال، والثاني: الطهارة من الذنوب. ويحتمل ثالثاً: أن الزكاة الاستكثار من الطاعة؛ لأن الزكاة في اللغة النماء والزيادة."(٢)، ويقول ابن عطية: "و﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ قيل: هما المشروعتان في البدن والمال، وقيل: زكاة الرؤوس في الفطر، وقيل: الصلاة الدعاء، وَالزَّكاةِ التطهير من كل عيب ونقص ومعصية."(٣)

من خلال هذه الأقوال نجد أننا نقف أمام أربعة معان للزكاة فأي منها هو الأقرب للصواب؟ بالتأمل في هذه المعاني نجد أن سياق الآية يرشح ويقوي المعنى الأول وهو الزكاة المفروضة في الأموال، وذلك للآتي:

- إن ظاهر الآية يدل على هذا يقول أبو حيان: "والظاهر حمل الصلاة والزكاة على ما شرع في البدن والمال."(٤)، ويقول الألوسي: "﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾أي أمرني بهما أمرًا مؤكدًا والظاهر أن المراد بهما ما شرع في البدن والمال على وجه مخصوص."(٥)

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص٤٤٦.
(٢) النكت والعيون ٣/ ٣٧٠، ٣٧١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ١٤، ١٥.
(٤) البحر المحيط ٧/ ٢٥٩.
(٥) روح المعاني ٨/ ٤٠٨.

ـ إن هذه الآية شبيهة بوصية الله تعالى لخاتم الرسل محمد – ﷺ– حيث قال: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] فكذلكَ أوصى عيسى عليه الصلاة والسلام بإقامة الدين: وعنوان ذلكَ الصلاة والزكاة، ما دام حيًّا."[١]، والإيصاء هنا يكون "بأدائهما إما في وقتهما المعين وهو وقت البلوغ، وإما في الحال بناء على أنه كان مع صغره كامل العقل تام التركيب بحيث يقوى على أداء التكاليف، ويؤيده قوله ﴿مَا دُمۡتُ حَيًّا﴾."[٢]، ويحتمل أن يكون ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾، أي أوصاني بأن آمركم بالصلاة والزكاة"[٣].

– أنه يمكن حمل بقية المعاني الأخرى على زكاة الأموال؛ لأن في الزكاة تطهيرًا للمال والنفس يقول المراغي: "وأمرني بالزكاة: بإعطاء جزء من المال للبائس والمحتاج، لما في ذلك من تطهير المال– ما دمت حيا فى الدنيا."[٤]، فكان الإيصاء بالصلاة والزكاة إصلاحا للنفس، وتطهيرًا للمجتمع من آثام الفقر والمجتمع، فبالصلاة صلاح النفس وتطهيرها لتألف وتؤلف، وبالزكاة يكون التعاون الاجتماعي بين الغني والفقير.[٥] كذلك في اخراج الزكاة استكثار من الطاعة، وتنمية للمال والأجر، يقول الماتريدي: "والزكاة: كل ما تزكو به النفس وتصلح وتنمو من كل خير."[٦]، وأيضًا زكاة الفطر تعد جزءًا من الزكاة فهي داخلة في عموم قوله تعالى[٧]: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٨]؛ لأن اللفظ من ألفاظ العموم فيجب أن يحمل على

(١) التفسير المأمون ٤/ ٦٥١.
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤/ ٤٨٣.
(٣) معالم التنزيل ٣/ ٢٣٣، ومدارك التنزيل ٢/ ٣٣٤.
(٤) تفسير المراغي ١٦/ ٤٨.
(٥) زهرة التفاسير ٩/ ٤٦٣٥.
(٦) تأويلات أهل السنة ٧/ ٢٣٣.
(٧) جزء من الآية: ٤٣ من سورة البقرة
(٨) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ٧/ ٥٨٨.

هذه الزكاة وغيرها إلا ما خصه الدليل.[١] وعلى هذا فالمعنى الأقرب للزكاة هنا في هذه الآية هو بمعنى زكاة الأموال المعروفة، وهو ما رجحه سياق الآية.

١٣- قال تعالى:﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مريم:٥٥]

تتحدث هذه الآية عن صفات سيدنا إسماعيل-عليه السلام- ومن هذه الصفات "أنه كان يأمر أهله بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكان فى المقام الكريم من رضا ربه."[٢]

ومفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في هذه الآية اختلف المفسرون في المراد بها، فذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بها هنا هي الزكاة المعروفة المفروضة على أمة الإسلام، يقول ابن الجوزي: " فأما الصلاة والزكاة، فهما العبادتان المعروفتان."[٣]، ويقول البغوي:" الصلاة والزكاة، قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله تعالى عليهم، وهي الحنيفية التي افترضت علينا"[٤]، وقال ابن عاشور: "وقد كان من شريعته الصلاة والزكاة وشؤون الحنيفية ملة أبيه إبراهيم."[٥]

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالزكاة هنا طاعة الله تعالى، وهو ما نقله الرازي عن ابن عباس فقال: "فأما الزكاة فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها طاعة الله تعالى والإخلاص فكأنه تأوله على ما يزكو به الفاعل عند ربه"[٦].

وذهب الشوكاني إلى أنه قد يراد بالزكاة هنا معناها اللغوي وهو الطهارة فقال: "والمراد ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾- هنا- هما العبادتان الشرعيتان ويجوز أن يراد معناهما اللغوي"[٧]

---

(١) المنتقى شرح الموطإ ٢/ ١٨٥.

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٤٤٩.

(٣) زاد المسير ٣/ ١٣٥.

(٤) معالم التنزيل ٣/ ٢٣٨.

(٥)التحرير والتنوير ١٦/ ١٣٠.

(٦) مفاتيح الغيب ٢١/ ٥٥٠،٥٤٩.

(٧) فتح القدير ٣/ ٣٩٩.

ولكن هذه المعاني بعيدة هنا لأن ظاهر الآيات وسياقها يرجح المعنى الأول وهو المعنى الشرعي للزكاة وهي زكاة الأموال، يقول الفخر الرازي: "والظاهر أنه إذا قُرنت الزكاة إلى الصلاة أن يراد بها الصدقات الواجبة وكان يعرف من خاصة أهله أن يلزمهم الزكاة فيأمرهم بذلك أو يأمرهم أن يتبرعوا بالصدقات على الفقراء."[١]، والمراد بأمر أهله بالزكاة هنا هو أداؤها أو إيتاؤها وكلاهما لا يكون إلا للأموال وهو ما صرح به السمرقندي فقال: "﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ يعني: أهل دينه وقومه ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾، يعني: بإتمام الصلاة وإيتاء الزكاة."[٢]، ويقول أبو بكر الجزائري: "والمراد من الصلاة إقامتها، ومن الزكاة أداؤها، وهذا مما أعلى شأنه ورفع قدره فاستحق ذكره في القرآن العظيم"[٣]، وعلى هذا فالمقصود بالزكاة هنا هي زكاة الأموال المشروعة.

١٤- قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٣]

تتناول هذه الآية الحديث عن سيدنا إبراهيم وأبنائه ومدح الله لهم فقال: " وجعلناهم أنبياء يدعون الناس ويهدونهم إلى الخير بأمرنا لهم أن يكونوا مرشدين، وألهمناهم فعل الخيرات وإدامة القيام بالصلاة على وجهها، وإعطاء الزكاة، وكانوا لنا خاضعين مخلصين. "[٤]

ومفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا جاءت على الحقيقة وهي الفريضة التي افترضها الله- تعالى- على المؤمنين، وهو ما أجمع عليه المفسرون يقول السمرقندي: "﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، يعني: إتمام الصلاة،﴿وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ يعني: الزكاة المفروضة وصدقة التطوع."[٥]، وفي هذا إشارة إلى

(١) السابق ٢١/ ٥٥٠.
(٢) بحر العلوم ٢/ ٣٧٧.
(٣) أيسر التفاسير ٣/ ٣١٧.
(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٤٨١.
(٥) بحر العلوم٢/ ٤٣٣.

أصل الحنيفية التي أُرسل بها إبراهيم عليه السلام.(١)، وخصهما بالذكر من بين سائر العبادات؛ لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله، والزكاة أفضل العبادات المالية، ومجموعهما التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله.(٢) وبناءً على ذلك فإن سياق الآية واضح الدلالة في أن المراد بلفظ الزكاة هنا هي المفروضة في المال.

١٥- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١]

هذه الآية تتناول الحديث عن وصف الله-ﷻ- لأصحاب النبي-ﷺ- ومدحهم ووعده لهم بالنصر فقال:" الذين إن مكَّنا سلطانهم فى الأرض حافظوا على حسن صلتهم بالله وبالناس، فيؤدون الصلاة على أتم وجوهها، ويعطون زكاة أموالهم لمستَحقيها، ويأمرون بكل ما فيه خير، وينهون عن كل ما فيه شر. ولله – وحده – مصير الأمور كلها، فيعز من يشاء، ويذل من يشاء حسب حكمته."(٣)

وهذه الآية مثل سابقتها في أن المراد بـ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾هنا هي الزكاة المفروضة على المسلمين فسياق الآية يتحدث عن وصف الله لأصحاب النبي-ﷺ- ومن هذه الصفات إيتائهم الزكاة وهي إعطاء زكاة أموالهم لمن جعلها الله له، لذلك "لما نزلت هذه الآية قال عثمان بن عفان: فينا نزلت هذه الآية أُخرجنا من ديارنا بغير حق ثم مُكِّنَّا في الأرض فأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة، وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر فهي لي ولأصحابي."(٤)، فلفظة الزكاة هنا صريحة في أن المقصود بها المعنى الشرعي لها وهو زكاة الأموال.

١٦- قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا

(١) التحرير والتنوير ١٧/ ١١١.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل ٣/ ٢٣٢.

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٤٩٤.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير ٥/ ٣٨٣، وفتح البيان في مقاصد القرآن ٩/ ٥٨.

عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[الحج: ٧٨]

هذه الآية خطاب من الله- تعالى- للمؤمنين حيث يأمرهم بالجهاد في سبيله وبالصلاة والزكاة ويُذَكِّرهم بفضله عليهم فقال:" وجاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته؛ لأنه سبحانه قربكم إليه، واختاركم لنصرة دينه، وجعلكم أمة وسطًا، ولم يكلفكم فيما شرعه لكم ما فيه مشقة عليكم لا تحتملونها، ويسر عليكم ما يعترضكم من مشقة لا تطيقونها. بما فرضه لكم من أنواع الرُّخَص، فالزموا دين أبيكم إبراهيم فى مبادئه وأسسه، وهو سبحانه الذى سمَّاكم المسلمين فى الكتب المنزلة السابقة، وبإذعانكم لما شرعه الله لكم، تكونون كما سمَّاكم الله، فتكون عاقبتكم أن يشهد رسولكم بأنه بلغكم، وعلمتم بما بلغكم به، فتسعدوا، وتكونوا شهداء على الأمم السابقة بما جاء فى القرآن من أن رسلها بلّغتها، وإذا كان الله قد خصكم بهذه الميزات كلها، فمن الواجب عليكم أن تقابلوها بالشكر والطاعة له، فتقيموا الصلاة على أتم وجوهها، وتعطوا الزكاة لمستحقيها، وتتوكلوا على الله فى كل أموركم، وتستمدوا منه العون. فهو معينكم وناصركم. فنعم المولى ونعم النصير."[١]

وجاءت مفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في هذه الآية صريحة يراد بها الزكاة المفروضة؛ لأن الخطاب موجه للمسلمين أتباع النبي محمد -ﷺ- والزكاة مفروضة عليهم كالصلاة قبلها، واقترانها بها دليل على أنها أختها في الفريضة فجاء معنى الزكاة هنا مناسبًا لسياق الآية، وفي الأمر بإيتاء الزكاة هنا إقرار بأدائها، يقول السمرقندي: "﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعني: أقروا بها وأدوها."[٢] ويقول الواحدي: "وقوله: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال مقاتل: فريضتان واجبتان افترضهما الله عليكم فأدوهما إلى الله."[٣] وعلى ذلك فالمقصود بالزكاة هنا هي الزكاة المفروضة.

---

(١)المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٥٠١.

(٢) بحر العلوم ٢/ ٤٧٢.

(٣) التفسير الوسيط ٣/ ٢٨٢.

١٧- قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]

في هذه السورة امتدح الله المؤمنين بعدة صفات ومن هذه الصفات أنهم "محافظون على أداء الزكاة إلى مستحقيها، وبذلك يجمعون بين العبادات البدنية والعبادات المالية، وبين تطهير النفس وتطهير المال."(١)

ومفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في هذه الآية جاءت صريحة في لفظها، لكن المفسرين اختلفوا في المراد بها هنا إلى ستة أقوال:

القول الأول: أن المقصود به هنا المعنى الشرعي وهو الزكاة المفروضة في الأموال، وإلى ذلك ذهب أكثر المفسرين، يقول الطبري: " والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدّون، وفعلهم الذي وصفوا به هو أداؤهم لها."(٢)، ويقول ابن أبي زمنين: "﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ يَعْنِي: يؤدون الزَّكَاة الْمَفْرُوضَة"(٣)

القول الثاني: أن المراد بالزَّكَاة هُنَا الْعَمَل الصَّالح، يقول البغوي: "وقيل: الزكاة هاهنا هو العمل الصالح، أي: والذين هم للعمل الصالح فاعلون."(٤)، ويقول الألوسي: وقيل إن الزكاة هنا بمعنى العمل الصالح كما في قوله: ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ﴾ [الكهف: ٨١]"(٥)

القول الثالث: أن المراد بالزكاة هنا زكاة النفس وتطهيرها من الرذائل، يقول ابن كثير: "وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا زكاة النفس من الشرك والدنس(٦)، ويقول الإيجي: "المراد زكاة النفس وتطهيرها من الرذائل"(٧).

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٥٠٢.
(٢) جامع البيان ١٩/ ١٠.
(٣) تفسير القرآن العزيز ٣/ ١٩٥.
(٤) معالم التنزيل٣/ ٣٥٩.
(٥) روح المعاني ٩/ ٢٠٨.
(٦) تفسير القرآن العظيم ٤٠٣/٥.
(٧) جامع البيان في تفسير القرآن ٣/ ٧٦.

القول الرابع: أن المراد بالزكاة هنا الفضائل، يقول ابن عطية: "ويحتمل اللفظ أن يريد بالزكاة الفضائل كأنه أراد الأزكى من كل فعل"(١)

القول الخامس: بمعنى النماء والزيادة، ففي البحر المحيط : "وقيل: الزكاة هنا النماء والزيادة"(٢)

القول السادس: بمعنى زكاة الفطر، يقول السمعاني: "قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ أَي: مؤدون. قَالَ الشّعبِيّ: هِيَ زَكَاة الْفطر"(٣)

ولو تأملنا هذه الأقوال لوجدناها متقاربة في دلالتها على معنى الزكاة في هذه الآية، بل إن بعضها قد يتضمن معنى الأخر، لكن السياق هنا يلعب دورًا هامًا في تحديد وترجيح المعنى المراد من الزكاة هنا في هذه الآية وهو الزكاة المفروضة في الأموال، فسياق الآيات يتحدث عن مدح المؤمنين ووصفهم بعدة صفات، ومن هذه الصفات خشوعهم في الصلاة ثم وصفهم بوصف يتناسب مع الصلاة وهو إيتاء الزكاة "ووصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على أنهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه.(٤)، وتوسيط حديث الإعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلاة لأنّ ترك اللغو من متمات الصلاة، وإلا فأكثر ما تذكر هاتان العبادتان في القرآن معًا بلا فاصل."(٥)، كما توجد عدة قرائن ترجح هذا المعنى منها:

- ما ذكره أبو جعفر الغرناطي بقوله(٦): "﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾، هذه أخت الصلاة، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾(٧)، وقال بعد:﴿ فَإِن

(١) المحرر الوجيز ٤/ ١٣٦، وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٤/ ١٤٢.
(٢) البحر المحيط في التفسير ٧/ ٥٤٧.
(٣) تفسير السمعاني ٣/ ٤٦٣.
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٨٢.
(٥) روح المعاني ٩/ ٢٠٨.
(٦) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ٢/ ٣٦٤.
(٧) من الآية (٥) في سورة التوبة.

تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾[1] فهذه القرينة ترجح أن المقصود بالزكاة هنا هي أخت الصلاة بدليل أن اقترانهما مع بعضهما شرط للعفو عن المشركين، وشرط للأخوة في الدين.

- ومنها ما ذكره أبو منصور الماتريدي فقال: "وجائز أن يكون ذكر هذا من المؤمنين؛ من الطاعة لله والائتمار لأمره، والرضا به، مقابل ما كان من المنافقين من الكراهية في الإنفاق، والصلاة على الكسل، والمراءاة؛ كقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾[3]، وقولهم: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾[4] نعتهم بالكسل، والخلاف، وترك الإنفاق والمراءاة في الطاعات، ونعت المؤمنين بضد ذلك، وبالرغبة في أوامره، والانتهاء عن معاصيه ونواهيه."[5]

ومنها إجماع أكثر المفسرين على هذا المعنى يقول الرازي: "وقول الأكثرين أنه الحق الواجب في الأموال خاصة وهذا هو الأقرب؛ لأن هذه اللفظة قد اختصت في الشرع بهذا المعنى."[6]، ويقول الكرماني: " قوله ﴿لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ هي الزكاة المفروضة."[7]

كما أنه يمكن رد بقية المعاني الأخرى إلى هذا المعنى فمن أراد بالزَّكَاة العَمَل الصَّالح فإن إخراج المسلم لزكاة ماله يعد رأس العمل الصالح، ومن أراد بالزكاة زكاة النفس وتطهيرها فإن إخراج جزء من المال زكاة؛ سبب في تطهير النفس وتزكيتها مما علق بها من الآثام، ومن أراد بالزكاة هنا الفضائل فإن زكاة المال فضيلة من أسمى الفضائل، كما أن الآيات قبلها وبعدها تتحدث عن مجموعة من الفضائل التي امتدح الله بها المؤمنين، فمجيء

---

(١) من الآية (١١) في سورة التوبة.
(٢) من الآية (١٤٢) في سورة النساء.
(٣) من الآية (٥٤) في سورة التوبة.
(٤) من الآية (٧) في سورة المنافقون.
(٥) تأويلات أهل السنة ٧/ ٤٥٢.
(٦) مفاتيح الغيب ٢٣/ ٢٦١.
(٧) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢/ ٧٧٠.

الزكاة هنا بمعنى الفضائل يعد من باب التكرار وهذا ضرب من العبث لا يجوز في كلام الله تعالى، ومن أراد بالزكاة النماء والزيادة، فإنه أراد المعنى اللغوي لها وليس معناها الشرعي المخصص لها، كما أنه في إخراج زكاة المال زيادة له ونماء بأن يبارك الله فيه ويُرْبيه، أما من أراد بالزكاة هنا زكاة الفطر؛ فعده بعض العلماء "بالعجيب؛ لأن السورة نزلت قبل فرض زكاة الفطر"[١] ، كما أن زكاة الفطر تعد جزءًا من الزكاة فهي داخلة في عموم قوله تعالى[٢]: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٣]؛ وهو من ألفاظ العموم فيجب أن يحمل على هذه الزكاة وغيرها إلا ما خصه الدليل.[٤]، وبناء عليه فإن المعنى الأقرب للفظ ﴿ٱلزَّكَـوٰةَ﴾ هنا هو الزكاة الشرعية المفروضة وهو ما رجحه سياق الآية.

١٨- قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَـوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور:٣٧]

وصف الله تعالى المسبحين وعمَّار المساجد من أصحاب رسول الله -ﷺ- بأنهم رجال ومن صفات هؤلاء الرجال "أنهم لا تشغلهم الدنيا بما فيها من بيع وشراء عن تذكر الله ومراقبته، فهم يقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة خائفين من يوم القيامة الذى لا تستقر فيه القلوب من القلق والهم وترقب المصير فيه وتلتفت فيه الأنظار في حيرة ودهشة من غرابة المنظر وشدة الهول."[٥]

قوله: ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَـوٰةَ﴾ اختلف المفسرون في المقصود من معنى مفردة الزكاة هنا إلى قولين:

---

(١) السابق نفسه ٧٧٠.

(٢) شرح سنن أبي داود لابن رسلان ٧/ ٥٨٨.

(٣) جزء من الآية: ٤٣ من سورة البقرة

(٤) المنتقى شرح الموطإ ٢/ ١٨٥.

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٥٢٤.

الأول: بمعنى طاعة الله والإخلاص، يقول الطبري: "وقوله: ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ معناه وإخلاص الطاعة لله."(١)، ويقول ابن أبي حاتم: "يَعْنِي بِالزَّكَاةِ طَاعَةَ اللَّهِ وَالإِخْلاصَ."(٢)

الثاني: بمعنى الزَّكَاة الْمَفْرُوضَة، يقول البغوي: "﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي: المفروضة. قال ابن عباس رضي الله عنه: إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحبسوها."(٣)، ويقول البيضاوي: "﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ ما يجب إخراجه من المال للمستحقين."(٤)

فنحن هنا أمام قولين للمفسرين حول معنى الزكاة وهي إما بمعنى الطاعة لله وإخلاص العبادة له، وإما بمعنى الزكاة التي افترضها الله على المسلمين، والذي يرجحه سياق الآية هنا هو المعنى الثاني، وذلك لأن الآية في وصف عُمَّار المساجد وأنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعن طاعته، ثم عطف على ذلك حرصهم الشديد على أداء الصلاة وإيتاء الزكاة في أوقاتها، فلو كان المقصود من الزكاة هنا الطاعة لكان ذلك تكرارًا لما فيه من عطف معنى الطاعة على الطاعة، فوجب أن يكون المقصود بها مسماها الشرعي، يضاف إلى ذلك تعليق الزكاة هنا بالإيتاء وهذا لا يكون إلا بإعطاء المال، وهذا لا يتحقق في معنى الطاعة يقول الرازي: "القول في الزكاة أن المراد المفروض لأنه المعروف في الشرع المسمى بذلك، وقال ابن عباس رضي الله عنهما المراد من الزكاة طاعة الله تعالى والإخلاص، ... وهذا ضعيف لما تقدم؛ ولأنه تعالى علق الزكاة بالإيتاء، وهذا لا يحمل إلا على ما يعطى من حقوق المال."(٥)، أيضًا مجيء الزكاة هنا في الآية مع الصلاة "وإن لم يكن مما تفعل في البيوت، لكونها قرينتها لا تفارق إقامة الصلاة في عامة المواضع، مع ما فيه من التنبيه على أن مَحَاسِنَ أعمالهم غَير مُنْحَصِرَةٍ فيما يقع في المساجد."(٦)، وقد

---

(١) جامع البيان ١٩/ ١٩٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٦٠٩.
(٣) معالم التنزيل ٣/ ٤٢٠.
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ١٠٩.
(٥) مفاتيح الغيب ٢٤/ ٣٩٨.
(٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٤/ ٤٥.

يحصل أن يُخرِج المرء زكاته في المسجد "فإنه يحضر في المسجد طوائف الفقراء والمساكين لطلب أخذ الزكاة، فيكون إيتاء الزكاة معتبر في هذا الباب"(١)

وعلى هذا فمفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا يراد به الزكاة التي افترضها الله على المسلمين وهو ما رجحه سياق الآية وذكره بعض العلماء.

١٩- قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور:٥٦]

في هذه الآية يأمر الله عباده المؤمنين بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول فقال: "وأقيموا الصلاة كاملة الأركان في خشوع وخضوع، وأعطوا الزكاة لمستحقيها، وأطيعوا الرسول في سائر ما يأمركم به ليكون لكم رجاء في رحمة الله ورضوانه."(٢)

ولفظ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في هذه الآية جاء على حقيقته فقصد به الزكاة المفروضة على المؤمنين، وهو ما أجمع عليه المفسرون، حيث إن سياق الآيات قبلها يتحدث عن استخلاف الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات ووعده إياهم بالتمكين في الأرض، وهذا لا يكون إلا بثلاثة أمور مذكورة في هذه الآية الكريمة، وهي إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة بصرفها في مصارفها الشرعية، وطاعة الرسول في كل ما يأمر به وينهى عنه، فإن هذه الثلاثة سبب لرحمة الله – تعالى- "ولمّا كان كُفْر من كفر بعد الوعد -إنما كان بمنع الزكاة-، قَرَنَه مع الصلاة في الأمر به فقال:﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فمن فرّق بينهما فقد كفر، وكان من الفاسقين...ومن أداها كما أمره الله فقد استوجب الرحمة، لقوله:﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾أي: لكي تُرحموا، فإنها من مُسْتَجلبَاتِ الرحمة."(٣) فالمراد بالزكاة هنا هي الزكاة المفروضة.

٢٠- ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٣]

هذه الآية وما سبقها، آيات ترشد إلى طريق الفوز في الدنيا والآخرة، وتبشر بحسن الثواب للمؤمنين الذين صَدَّقوا بها، واهتدَوْا بهديها، والذين يؤدون الصلاة في خشوع مستوفية

---

(١) مفاتيح الغيب ١٦/ ١١.

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٥٢٨.

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٤/ ٦١، ٦٢.

الأركان، ويعطون الزكاة في أوقاتها، وهم يوقنون بالحياة الآخرة، وما يكون فيها من ثواب وعقاب."[١]

ولفظ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا اختلف المفسرون في تأويل معناها إلى أربعة أقوال ذكرها الماوردي فقال: "﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فيها أربعة أقاويل: أحدها: أنها زكاة المال، قاله عكرمة وقتادة والحسن. الثاني: أنها زكاة الفطر؛ قاله الحارث العكلي. الثالث: أنها طاعة الله والإخلاص رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. الرابع: أنها تطهير أجسادهم من دنس المعاصي."[٢]، ويقول ابن عطية: "والزَّكاةَ هنا يحتمل أن- تكون غير المفروضة لأن السورة مكية قديمة، ويحتمل أن تكون المفروضة من غير تفسير، وقيل الزَّكاةَ هنا بمعنى الطهارة من النقائص وملازمة مكارم الأخلاق"[٣]

والمتأمل في هذه الأقوال السالفة يرى أنها صالحة كلها للدلالة على لفظ الزكاة، لكن دلالتها على أنها زكاة المال هي الأقرب إلى سياق الآيات؛ فنظم الكلمات ونسقها يدل على ذلك، ففي الآيات "هداية وبشارة للمؤمنين من القرآن وهذا لن يحصل إلا لمن آمن به واتبعه وصدقه، وعمل بما فيه، وأقام الصلاة المكتوبة، وآتى الزكاة المفروضة، وآمن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال، خيرها وشرها، والجنة والنار"[٤]، وأكد هذا المعنى الرازي فقال: "أما قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فالأقرب أنها الصلوات الخمس لأن التعريف بالألف واللام يقتضي ذلك، وإقامة الصلاة أن يؤتى بها بشرائطها، وكذا القول في الزكاة فإنها هي الواجبة، وإقامتها وضعها في حقها... وقوله: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[النمل:٢] إشارة إلى معرفة المبدأ، وقوله:﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ إشارة إلى الطاعة بالنفس والمال، وقوله: "﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾إشارة إلى علم المعاد فكأنه سبحانه وتعالى جعل

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٥٦٣.

(٢) النكت والعيون ٤/ ١٩٣.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٨.

(٤) تفسير ابن كثير ٦/ ١٧٨.

معرفة المبدأ طرفًا أولًا، ومعرفة المعاد طرفًا أخيرًا وجعل الطاعة بالنفس والمال متوسطًا بينهما."[١]

ومن زعم أن المراد بـ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا غير المفروضة لأن السورة مكية جانبه الصواب؛ لأن المقصود بالزكاة هنا هي مطلق إخراج المال تقربا بالتصدق منه، وتزكية للنفس بإيتائه، من وصمة البخل والشح المردي لها لا أنصباؤها المعروفة فإنها إنما بيّنت بالمدينة"[٢]، وعلى هذا فالذي يرجحه السياق في المراد بلفظ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا هو زكاة المال.

٢١ـ قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان:٤]

هذه الآية نعت لِلْمُحْسِنِينَ "الذين يؤدون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون الزكاة لمستحقيها، وهم بالحياة الآخرة يؤمنون أقوى الإيمان."[٣]

ومفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا جاءت على حقيقتها الشرعية في أن المراد بها الزكاة المفروضة في الأموال؛ لأن سياق الآية يدل على ذلك فهي تحدث عن صفات المحسنين الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة، ومن هذه الصفات أنهم أقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة، يقول ابن جرير الطبري: "﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: الصَّلاةَ المفروضة بحدودها ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ من جعلها الله له المفروضة في أموالهم ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ يقول: يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك في الآخرة يوقنون."[٤] ويؤيد هذا المعنى اقتران الزكاة بالصلاة في سياق واحد "فقلما حث الله تعالى على إقامة الصلاة، أو

(١) مفاتيح الغيب ٢٤/٥٤٠، ٥٤١.
(٢) محاسن التأويل ٨/ ٢٥.
(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٦١٢.
(٤) جامع البيان ٢٠/ ١٢٤.

مدح بها، إلا قرن بها إيتاء الزكاة، حثًا على عمل البر والرأفة بالفقراء والبائسين، وإشارة إلى أن الإيمان لا يكمل إلّا بهما"[١]

٢٢- قال تعالى:﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]

هذه الآية خطاب لأزواج النبي- ﷺ - حيث يأمرهن الله عز وجل بالتستر وعدم الخروج والتبرج فقال: "وٱلْزَمْنَ بيوتكن لا تخرجن إلا لحاجة شرع الله الخروج لقضائها، ولا تُظْهرن محاسنكن وزينتكن للرجال إذا خرجتن. كما كانت تفعل أهل الجهالة الأولى، وأدِّين الصلاة كاملة، وأعطين الزكاة، وامتثلن أمر الله ورسوله. إنما يريد الله - بكل ما يأمركن به وينهاكن عنه - الشرف والكرامة. ليذهب عنكم الإثم والمعصية - يا أهل بيت النبي - ويطهركم تطهيرًا لا يخالطه شبهة."[٢]

ومفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا جاءت على حقيقتها الشرعية حيث قُصد بها الزكاة الواجبة في الأموال، وهو ما نص عليه جل المفسرين، يقول ابن جرير الطبري: "وقوله:﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: وأقمن الصلاة المفروضة، وآتين الزكاة الواجبة عليكن في أموالكن"[٣]، وصرح بذلك الماتريدي فقال: "وقوله: :﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾أمرهن بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لله ورسوله؛ لئلا يغتررن بما اخترن المقام مع رسول الله وإيثارهن إياه على أن ذلك كاف لهن في الآخرة، ولا شيء عليهن سوى ذلك من العبادات؛ بل أخبر أنكن وإن اخترتن المقام معه وآثرتن إياه على الدنيا وزينتها لا يغنيكن ذلك عما ذُكر"[٤]، "وخص تعالى الصلاة والزكاة، لأهميتهما وخطورتهما

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ١٧٣، وتفسير المراغي ٤/ ١٤٤.
(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٦٢٧.
(٣) جامع البيان ٢٠/ ٢٦٢.
(٤) تأويلات أهل السنة ٨/ ٣٨٢.

وآثارهما الكبرى، فالأولى طهارة النفس وعماد الدين، والثانية طهارة المال وطريق مقاومة الفقر، فهما عمودا الطاعة البدنية والمالية."[١]

٢٣- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت:٧]

هذه الآية تتحدث عن هلاك وعذاب شديد للمشركين بسبب أنهم " لا يؤدون الزكاة إلى مستحقيها، وهم بالحياة الآخرة - دون غيرهم - جاحدون."[٢]

ومفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في هذه الآية اختلف المفسرون في المقصود بها إلى خمسة أقوال ذكرها ابن الجوزي فقال: "قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فيه خمسة أقوال: أحدها: لا يشهدون أن «لا إله إلّا الله»، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال عكرمة، والمعنى: لا يطهّرون أنفُسَهم من الشرك بالتوحيد. والثاني: لا يؤمِنون بالزكاة ولا يُقِرُّون بها، قاله الحسن، وقتادة. والثالث: لا يزكُّون أعمالهم، قاله مجاهد، والربيع. والرابع: لا يتصدَّقون، ولا يُنفِقون في الطاعات، قاله الضحاك، ومقاتل. والخامس: لا يُعطُون زكاة أموالهم، قال ابن السائب: كانوا يحُجُّون ويعتمرون ولا يزكُّون."[٣]

وبعد النظر في هذه الأقوال وتتبع أراء المفسرين في المقصود بلفظ ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا، يمكن القول بأن أقرب الأقوال إلى سياق الآية هو قول من قال إن المقصود بها هو زكاة الأموال، يؤيد ذلك ما يلي:

- أن الله تعالى أثبت الويل لمن كان موصوفا بصفات ثلاثة أولها: أن يكون مشركًا وهو ضد التوحيد، وإليه الإشارة بقوله ﴿لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [فصلت:٦]، وثانيها: كونه ممتنعا من الزكاة وهو ضد الشفقة على خلق الله، وإليه الإشارة بقوله ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، وثالثها: كونه منكرًا للقيامة مستغرقًا في طلب الدنيا ولذاتها، وإليه الإشارة بقوله ﴿وَهُم

(١) التفسير المنير للزحيلي ٢٢/ ١٠.
(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٧٠٧.
(٣) زاد المسير ٤/ ٤٥، ٤٦.

بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ وإن أعظم الطاعات التعظيم لأمر الله، وأفضل أبوابه الإقرار بكون الله واحدًا، وإذا كان التوحيد أعظم الطاعات كان الشرك أخسها، لأنه ضد التوحيد، ولما كان أفضل أنواع المعاملة مع الخلق إظهار الشفقة عليهم كان الامتناع من الزكاة أخس الأعمال، لأنه ضد الشفقة على خلق الله."(١)

– أنه جعل منع الزكاة مقروناً بالكفر بالآخرة؛ "لأن أحب شيء إلى الإنسان ماله وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته... وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة، وتخويف شديد من منعها، حيث جُعِل المنع من أوصاف المشركين، وقُرِن بالكفر بالآخرة."(٢)، لذا قيل: الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا، ومن تخلّف عنها هلك. ومنْعُ الزكاة قسوة على عباد الله، وبذلها دليل على صدق النّية (٣)

– أن الله عز وجل لما وصف المشركين بعدم إيتاء الزكاة وبالكفر بالأخرة، فقد وصفهم بأظهر سببين جعلاهم يقفون موقف الجحود من الرسالة النبوية، ولقد شغل هذان السببان حيزًا كبيرًا في القرآن وبخاصة المكي منه.(٤)، فمن كان سبب كفره بخله في المال وشحه، حمله ذلك على إنكار الزكاة والامتناع عن الإيتاء، ومن كان كفره إنكاره جزاء الأعمال، حمله ذلك على إنكار الآخرة.(٥)

– أن الله عز وجل حكم بالكفر على من لم يؤتِ الزكاة، وكذلك "قتال أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – مانعي الزكاة، وهم متمسكون بسائر شرائع الإسلام دليل على كفرهم"(٦)، فقد كان أهل الردّة بعد نبيّ الله قالوا: أما الصلاة فنصلّي، وأما الزكاة فوالله لا تُغصب

(١) مفاتيح الغيب ٢٧/ ٥٤٢، ٥٤٣، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ٢/ ٣٥٨.
(٢) الكشاف ٤/ ١٨٦، ١٨٧، ومدارك التنزيل ٣/ ٢٢٦، ٢٢٧.
(٣) التفسير المنير للزحيلي ٢٤/ ١٨٨.
(٤) التفسير الحديث ٤/ ٤٠٦.
(٥) تأويلات أهل السنة ٩/ ٦١.
(٦) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ٤/ ٦٨.

أموالنا; فقال أبو بكر: والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه; والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه."[١]

– أن الله تعالى توعَّد المشركين على شركهم، وعلى ترك إيتاء الزكاة وجحدِ البعث، فدل ذلك على أنهم مخاطبون بالإيمان، ومخاطبون بإيتاء الزكاة لأنه لا يُتَوَّعد إلا على فعلِ محظورٍ أو تْركِ واجب، فكانَ الظاهرُ مقابلةَ الوعيدِ لجميعِ ما عدَّد من الجرائم.[٢]

– أن من ذهب إلى أن المراد بالزكاة هنا: طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة، ومن الشرك، يُرد عليه بأن "لفظ الإيتاء يساعد المعنى الثاني، بل كالصريح، لكن الأول منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما"[٣]، فلا يجوز ترك ظاهر الإيتاء الذي هو الإعطاء باحتمال لا طائل فيه من حجة.[٤]

وبناء على ما سبق فإن المراد من لفظ الزكاة هنا هو زكاة الأموال وهذا هو الظاهر عند أغلب المفسرين ورجحه السياق، واختاره ابن جرير الطبري فقال: "والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدّون زكاة أموالهم; وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة لا سيما مع ضميمة الإيتاء"[٥]

٢٤– قال تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة:١٣]

هذه الآية تتضمن سؤالًا إنكاريًا منطويًا على عتاب موجه لأصحاب رسول الله ﷺ على ما كان من إشفاقهم أو استثقالهم للصدقة التي ورد فرضيتها في الآية السابقة لها –على مناجاة النبي ﷺ– ثم من عدم تنفيذهم الأمر فيقول– تعالى– "أخشيتم أن تلتزموا تقديم

(١) جامع البيان ٢١/ ٤٣١، والكشف والبيان ٨/ ٢٨٦.

(٢) ينظر: الواضح في أصول الفقه ٣/ ١٣٤، والمهذب في علم أصول الفقه ١/ ٣٥٤.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ٤/ ٣٥.

(٤) النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام ٤/ ٦٨.

(٥) جامع البيان ٢١/ ٤٣١.

صدقات أمام مناجاتكم رسول الله؟ فإذا لم تقدموا وعفا الله عنكم فحافظوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأطيعوا الله ورسوله، والله خبير بعملكم فيجازيكم عليه."(١)

وجاءت مفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا على حقيقتها حيث يراد بها الزكاة الشرعية في الأموال، فسياق الآية يتناول الحديث عن إشفاق الصحابة وتأخرهم في تنفيذ أمر الله تعالى في إخراج صدقة عند مناجاة رسول الله ﷺ، فلما علم الله ذلك منهم تجاوز عنهم، وخَفَّف بنسخ إيجاب الصدقة، فوسع عليهم، ولم يضيق. ثم أمرهم بالمداومة على إقامة الصَّلاةَ وإيتاء الزَّكاةَ، فَنَسَخَت هذه الآية تلك الصدقة التي شُرعت عند المناجاة. وهذا ما أجمع عليه جمهور المفسرين، يقول الطبري: "﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: فريضتان واجبتان لا رجعة لأحد فيهما، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر الصدقة في النجوى."(٢)، فقوله: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معناها "دوموا على هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم(٣)؛ لأن هذه الأعمال كانت مفروضة عليهم قبل الأمر بصدقة النجوى على الأصح وإذا كان الأمر كذلك "كان فعل وآتوا مستعملًا في طلب الدوام مثل فعل فأقيموا."(٤)

٢٥- قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل:٢٠]

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص٨١٢.

(٢) جامع البيان ٢٣/ ٢٥١.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٠.

(٤) التحرير والتنوير ٢٨/ ٤٧.

في هذه الآية رخصة من الله ﷻ لأمة النبي ﷺ في تخفيف قيام الليل للمشقة التي تلحقهم إذا هم فعلوا ذلك، فقال: " إن ربك يعلم أنك تقوم – يا محمد – أقل من ثلثي الليل أحيانًا، وتقوم نصفه وثلثه أحيانًا أخرى، ويقوم طائفة من أصحابك كما تقوم، ولا يقدر على تقدير الليل والنهار وضبط ساعاتهما إلا الله. علم أنه لا يمكنكم إحصاء كل جزء من أجزاء الليل والنهار. فخفف عليكم، فاقرءوا في الصلاة ما تيسر من القرآن. علم أنه سيكون منكم مرضى يشق عليهم قيام الليل، وآخرون يتنقلون في الأرض للتجارة والعمل يطلبون رزق الله، وآخرون يجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمته، فاقرءوا ما تيسر من القرآن وواظبوا على فرائض الصلاة، وأعطوا الزكاة الواجبة عليكم، وأقرضوا الله قرضاً حسناً بإعطاء الفقراء نافلة فوق ما وجب لهم، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوا ثوابه عند الله هو خيراً مما خلفتم وتركتم، وأجزل ثواباً، واستغفروا الله من فعل السيئات والتقصير في الحسنات. إن الله غفور لذنوب المؤمنين، رحيم بهم. "[١]

ومفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا اختلف المفسرون في المقصود بها إلى خمسة أقوال ذكرها الإمام القرطبي فقال: "﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الواجبة في أموالكم، قاله عكرمة وقتادة. وقال الحارث العكلي: صدقة الفطر لأن زكاة الأموال وجبت بعد ذلك. وقيل: صدقة التطوع. وقيل: كل أفعال الخير. وقال ابن عباس: طاعة الله والإخلاص له."[٢]

والمتأمل في اختلاف المفسرين في المقصود بمفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ في هذه الآية وفي تفسيرها وشرحها يجد أن سياق الآية يرشح المعنى الأول وهو الزكاة المفروضة في الأموال؛ وذلك لاقترانها بالصلاة في السياق نفسه وعطفها عليها، والعطف هنا "تتميم؛ لأن الغالب أنه لم يخل ذكر الصلاة من قرن الزكاة معها حتى استنبط أبو بكر رضي الله عنه من ذلك أن مانع

(١)المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٨٦٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٥٨.

الزكاة يقاتل عليها، فقال لعمر رضي الله عنه «لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة».»[١]، كما يمكن الرد على بقية الأقوال الأخرى بما يأتي:

ـ أن من ذهب إلى أن المقصود بالزكاة هنا صدقة الفطر لأن زكاة الأموال وجبت بعد ذلك، يرد عليه بأن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة.[٢]، وأوضح هذا المعنى الألوسي فقال: "﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾أي المفروضة ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ كذلك وعلى هذا أكثر المفسرين والظاهر أنهم عنوا بالصلاة المفروضة الصلوات الخمس وبالزكاة المفروضة أختها المعروفة، واستشكل بأن السورة من أوائل ما نزل بمكة ولم تفرض الصلوات الخمس إلا بعد الإسراء والزكاة إنما فرضت بالمدينة، وأجيب بأن الزكاة فرضت بمكة من غير تعيين للأنصباء والذي فرض بالمدينة تعيين الأنصباء فيمكن أن يراد بالزكاة الزكاة المفروضة في الجملة فلا مانع من كون الآيات مكية."[٣]

– ومن ذهب إلى أن المقصود بالزكاة صدقة التطوع، يرد عليه بأن الله عطف عليها جملة ﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: والعطف يشعر بالتغاير، فقوله:﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أمر بأداء الواجب،﴿وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ﴾: أمر بأداء الصدقات التي يتطوع بها."[٤] فكان تفسير معنى الزكاة بصدقة التطوع ضربًا من التكرار الخالي عن الفائدة.

– أما من ذهب إلى أن المقصود بالزكاة هنا كل أفعال الخير، أو طاعة الله والإخلاص له فقد جاء بعدها قوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو تذييل لما سبق من الأمر في قوله: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٨٧.
(٢) تفسير ابن كثير ٨/ ٢٥٩.
(٣) ينظر: روح المعاني ١٥/ ١٢٦.
(٤) البحر المحيط ١٠/ ٣٢١.

حَسَنًا﴾، فإن قوله: ﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾ يعم جميع فعل الخير(١)، من صدقة أو نفقة، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حجّ، أو غير ذلك من أعمال الخير."(٢)

وبناءً على ما سبق فإن المراد من لفظ الزكاة هنا هو زكاة الأموال المفروضة وهو ما اختاره أغلب المفسرين، يقول ابن جرير الطبري: "﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: وأعطوا الزكاة المفروضة في أموالكم أهلها."(٣)، ويقول الثعالبي: "الصلاةُ والزكاة هنا هما المفروضَتَانِ"(٤)

٢٦- قال تعالى:﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]

في هذه الآية يبين- سبحانه- السبب فيما أُمِر به أهل الكتاب والمشركين فقال: "وما كُلِّفوا بما كُلِّفوا به إلا لتكون عبادتهم لله مخلصين له الدين، مائلين عن الباطل مستقيمين على الحق وأن يحافظوا على الصلاة ويؤدُّوا الزكاة، وذلك دين الملة المستقيمة."(٥)

ومفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا جاءت على ظاهرها ويقصد بها الزكاة المفروضة حيث إن سياق الآيات يتناول الحديث عن الكافرين من أهل الكتاب زمن النبي-ﷺ- ومشركي العرب، وأنهم أُمروا بعبادة الله وبالصلاة والزكاة سواء كان ذلك في شريعتهم أو في شريعتنا فعلى كلا الأمرين فهم مطالبون بهما، يقول الماتريدي: "وقوله - عَزَّ وَجَلَّ -:﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ يحتمل القبول، أي: قبلوا إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ كقوله:﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[التوبة:١١] أي: تابوا، وقبلوا ذلك، ليس على حقيقة الإقامة، ويحتمل أن يكون حقيقة الإقامة والإيتاء، وأيهما كان، ففيه أن أوائلهم كانوا مأمورين

(١) التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٨٨.
(٢) جامع البيان ٢٣/ ٧٠٠.
(٣) السابق ٢٣/ ٦٩٩.
(٤) الجواهر الحسان ٥/ ٥٠٧.
(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٩٢٠

بالصلاة والزكاة"[١] فإن "أريد بالصلاة والزكاة ما في شريعة أهل الكتاب من الصلاة والزكاة فالأمر ظاهر، وإن أريد ما في شريعتنا فمعنى أمرهم بهما في الكتابين أمرهم باتباع شريعتنا، وهما من جملة ما وقع الأمر به فيها"[٢]

وجاء التعبير بالفعل المسند للمجهول(أُمروا) ليفيد معنيين، الأول: أي ما أمروا في كتابهم إلا بما جاء به الإسلام فإن التوراة أكدت على اليهود تجنب عبادة الأصنام، وأمرت بالصلاة، وأمرت بالزكاة أمرًا مؤكدًا مكررًا. والإنجيل لم يخالف التوراة. الثاني: وما أمروا في الإسلام إلا بمثل ما أمرهم به كتابهم، فلا معذرة لهم في الإعراض عن الإسلام على كلا التقديرين."[٣]؛ لأن هذا الذي أمروا به هو "شرع الله، وتلك أحكام شريعته لكل المؤمنين بشرائع السماء، وإنها جميعًا تقوم على هذه الأصول الثابتة."[٤]

ثانياً: بمعنى الزكاة المفروضة على بني إسرائيل:

١ – قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة:٨٣]

تتناول هذه الآية الحديث عن بني إسرائيل ونقضهم العهود والمواثيق التي أخذها الله عليهم في التوراة فقال: "واذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا عليكم في التوراة ميثاقًا ألا تعبدوا إلا الله، وأن تحسنوا إلى الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين، وتستخدموا في حديثكم مع الناس القول الطيب الذى يؤلف بينكم وبينهم ، وتؤدوا ما فُرِض عليكم من صلاة وزكاة، ولتذكروا ما كان من مسلككم حيال هذا الميثاق إذ نقضتموه وأعرضتم عنه إلا قليلًا منكم ممن أذعن للحق."[٥]

---

(١) تأويلات أهل السنة ١٠/ ٥٩٢.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٥/ ٥٨١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/ ٤٨٠ بتصرف.

(٤) التفسير القرآني للقرآن ١٦/ ١٦٤٤.

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ١٩.

ومفردة ﴿ٱلزَّكَـوٰةَ﴾ في ظاهرها يدل على أن المقصود بها زكاة المال المفروضة، لكن المفسرين اختلفوا في المراد بها في هذه الآية إلى أربعة أقوال:

الأول: ذهب إلى أنها الزكاة المفروضة علينا[١]، وأن الخطاب لمن كان بحضرة رسول الله ﷺ من أبناء اليهود، ويحتمل ذلك أن يكون أمرهم بالصلاة والزكاة أمرًا بالإسلام، أو أن الكفار مخاطبون بفروع الإيمان وأن الزكاة هي هذه المفروضة [٢]. **الثاني**: وذهب إلى أنها القرابين التي كانوا يضعونها لتكفير الخطايا أو شكر الله -ﷻ-[٣] فقد روي عن ابن عباس أنه قال: " كانت زكاة أموالهم قربانا تهبط إليه نار تحملها، فكان ذلك تقبله. ومن لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل "[٤]. **الثالث**: طاعة الله والإخلاص[٥]، ومعنى هذا القول إنه كنَّى عن الطاعة لله تعالى بالصلاة والزكاة اللتين هما أعظم أركان الإسلام.[٦]

الرابع: وذهب إلى أن المقصود بالزكاة ما افترضه الله عليهم في ملتهم أو شريعتهم[٧]، وعلى هذا فالمراد الصلاة التي كانوا يصلونها، والزكاة التي كانوا يخرجونها.[٨] ويكون معنى﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: وأعطوا الزكاة المفروضة عليكم في ملّتكم.[٩]

وبعد عرض هذه الأقوال نجد أن أقربها إلى سياق الآية هو القول الأخير القائل بأن المراد بالزكاة هنا ما افترضه الله على بنى إسرائيل في زمانهم وليس المقصود بها زكاة المسلمين وذلك لأن سياق الآية يدل على أن الخطاب ليس للمسلمين من هذه الأمة، وإنما هو حكاية

---

(١) ينظر: بحر العلوم ١/ ٦٩.

(٢) البحر المحيط ١/ ٤٦٢.

(٣) بنظر: المحرر الوجيز١/ ١٧٣، وتفسير المنار ١/ ٣٠٥..

(٤) ينظر: جامع البيان ٢/ ٢٩٧، ٢٩٨، البحر المحيط ١/ ٤٦٢.

(٥) ينظر: جامع البيان ٢/ ٢٩٨، والمحرر الوجيز ١/ ١٧٣.

(٦) البحر المحيط ١/ ٤٦٢.

(٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٩١، وإرشاد العقل السليم ١/ ١٢٣، وروح المعاني ١/ ٣٠٩.

(٨) فتح القدير١/ ١٢٧.

(٩) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢/ ٣٧.

ما أُمِر به بنو إسرائيل من شرائع وأحكام في التوراة على لسان موسى عليه السلام، فهو خطاب للأسلاف من بني إسرائيل[١] وهو الظاهر، لأن ما قبله وما بعده يدل عليه[٢] وليس المراد الكناية عن شريعة الإسلام لما علمت من أن هاته المعاطيف تابعة لبيان الميثاق وهو عهد موسى عليه السلام. [٣]

كما يمكن الرد على بقية الآراء الأخرى فنقول: إن القول القائل بأن المقصود بـ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا الزكاة المفروضة علينا، قد ردَّ عليه الألوسي بقوله: "ليس بشيء كما لا يخفى"[٤]، وأن الخطاب لبني إسرائيل، فالمراد الصلاة التي كانوا يصلونها، والزكاة التي كانوا يخرجونها[٥] ورُدَّ على القول القائل بأنها القرابين التي كانوا يقدمونها بأن الْأَمْرَ ليس كذلك، "فقد كان لهم ضروبٌ من الزكاة: منها: مالٌ خاصٌّ يؤدَّى لآل هارون، وهو إلى الآن في اللَّاوِيِّين- سبطٌ من أسباطهم- ومنها: مالٌ للمساكين. ومنها: ما يؤخذ من ثمرات الأرض. ومنها: سَبْتُ الأرض، وهو تركها في كلِّ سبع سنين مرَّةً بلا حرث ولا زرعٍ، وكل ما يخرج منها في تلك السنة فهو صدقةٌ.[٦]، وقد عقَّب القرطبي على هذا القول بأنه يَحْتَاجُ إِلَى نَقْلٍ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْغَنَائِمِ.[٧] كما عقَّب عليه أيضًا الدكتور مأمون حموش بقوله: "الله أعلم بصحة ذلك فليس لدينا تفصيل من ديننا تقوم به الحجة."[٨]

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٢٤٧.

(٢) البحر المحيط ١/ ٤٦٢.

(٣) التحرير والتنوير ١/ ٥٨٣.

(٤) روح المعاني ١/ ٣٠٩.

(٥) فتح القدير ١/ ١٢٧.

(٦) تفسير المنار ١/٣٠٥، ٣٠٦، وحدائق الروح والريحان ٢/ ٣٧.

(٧) الجامع لأحكام القرآن٢/ ١٧.

(٨) التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون ١/ ٣٢٢.

ويُرد على القول القائل بأنها طاعة الله والإخلاص، بأن طاعة الله ليست مقصورة على الصلاة والزكاة فقط فقد تكون بهما وبغيرهما من أعمال الخير. وعلى هذا فالمراد بـ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾هنا هي زكاة الأموال المفروضة على بنى إسرائيل في ملتهم وفي زمانهم.

٢- قال تعالى﴿ ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:١٢]

تتحدث هذه الآية عن العهد الذي أخذه الله على بنى إسرائيل بالسمع والطاعة، فأقام عليهم اثنى عشر رئيساً منهم لتنفيذ العهد، ووعدهم وعدًا مؤكدًا بأن يكون معهم بالعون والنصر إن أدوا الصلاة على وجهها، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم، وصدَّقوا برسله جميعًا، ونصروهم، وأنفقوا في سبيل الخير، وإذا ما فعلوا ذلك، تجاوز الله عن ذنوبهم، وأدخلهم جناته التي تجرى من تحتها الأنهار، فمن كفر ونقض العهد منهم بعد ذلك، فقد حاد عن الطريق السوى المستقيم.(١)

و﴿ٱلزَّكَـوٰةَ﴾ اختُلف في معناها هنا إلى قولين ذكرهما المفسرون في تفسيراتهم، يقول الماتريدي: "قوله: ﴿وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَـوٰةَ﴾ يحتمل وجهين: أنه أراد بالزكاة: تزكية النفس وطهارتها، وذلك في العقل على كل أحد القيام به في كل وقت. ويحتمل: أن يكون أراد الصلاة والزكاة المعروفة؛ ففيه دليل وجوب الصلاة والزكاة على الأمم السالفة.(٢)، ويقول ابن عطية: "والزَّكاةَ هنا شيء من المال كان مفروضًا فيما قال بعض المفسرين، ويحتمل أن يكون المعنى وأعطيتم من أنفسكم كل ما فيه زكاة لكم حسبما ندبتم إليه"(٣)

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ١٤٧.
(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة ٣/ ٤٨٠.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ١٦٨.

وقد اختار كثير من المفسرين المعنى الأول، يقول أبو حيان معقبًا على كلام ابن عطية: "والأول هو الراجح.[١]، ويقول النسفي: "﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ كانتا فريضتين عليهم"[٢]، ويقول ابن عاشور: "والمراد بالزكاة ما كان مفروضًا على بني إسرائيل: من إعطائهم عشر محصولات ثمارهم وزرعهم"[٣]

وبعد العرض لهذه الآراء جميعًا نجد أن سياق الآية يرجح المعنى الأول وهو أن المراد بالزكاة هنا ما كان مفروضًا على بني إسرائيل في شريعتهم، فسياق الآية خاص بالحديث عن بني إسرائيل وأخذ العهد عليهم بالسمع والطاعة، والوعد بالعون والنُصرة والدفع عنهم، وهذا مشروط بخمسة أمور وهي: إن أقاموا الصلاة المكتوبة وآتوا الزكاة المفروضة وآمنوا بجميع الرسل ونصروهم وأنفقوا في سبيل الخير "فرتب على هذه الخمسة المشروطة تكفير السيئات، وذلك إشارة إلى إزالة العقاب، وإدخال الجنات، وفيه إشارة إلى إيصال الثواب."[٤] فعلى هذا يكون القول الثاني في معنى الزكاة وهو تزكية النفس وطهارتها بعيد؛ بسبب هذه الخمسة المشروطة في تكفير الذنوب وطهارة النفس من الآثام. كما أن ذكر الإقراض (الإنفاق) بعد ذكر الزكاة في السياق نفسه يرشح ويقوي المعنى الأول، حيث دلّ على أن المراد بإيتاء الزكاة: المفروضة عليهم، والمراد بالإقراض: الصدقات المندوبة.

٣ – قال تعالى﴿ ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]

لما أمر الله تعالى موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى من قومه سبعين رجلًا، فلما أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك حتى

(١) البحر المحيط ٤/ ٢٠٣.
(٢) مدارك التنزيل ١/ ٤٣٤.
(٣) التحرير والتنوير ٦/ ١٤٢.
(٤) البحر المحيط ٤/ ٢٠٤

نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا. فقام موسى يتضرع إلى الله ويسأله الغفران له ولقومه وأن يشمله برحمته التي وسعت كل شيء، وكان من تتمة دعائه هذه الآية فقال: "ولأنك يا رب خير من يغفر نسألك أن تقدّر لنا في هذه الدنيا حياة طيبة، وتوفيقًا للطاعة، وفى الآخرة مثوبة حسنة ورحمة؛ لأننا رجعنا إليك وتبنا إليك، فقال له ربه: عذابي أصيب به من أشاء ممن لم يتب، ورحمتي وسعت كل شيء، وسأكتبها للذين يتقون الكفر والمعاصي من قومك، ويؤدون الزكاة المفروضة، والذين يصدقون بجميع الكتب المنزلة." [١] ومفردة ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ هنا، للمفسرين في المراد بها قولان:

الأول: أنها زكاة أموالهم لأنها من أشق فرائضهم، قاله الجمهور. **والثاني**: أن المراد بها طاعة الله ورسوله، قاله ابن عباس والحسن، ذهبا إلى أنها العمل بما يزكّي النفس ويطهّرها فهذا من صالحات الأعمال.[٢]

ولو نظرنا إلى سياق هذه الآية لوجدنا أنها تتحدث عن اليهود وهم قوم أشربوا في قلوبهم حب المال وفتنوا بجمعه وثقل عليهم واشتد إخراج الزكاة من أموالهم. لذلك ناسب أن يكون المقصود بالزكاة هنا هو زكاة أموالهم لا العمل بما يزكّي النفس ويطهّرها، "وخص الزكاة بالذكر دون ما عداها من الطاعات؛ لأن فتنة حب المال تقتضي بنظر العقل والاختبار بالفعل أن يكون المانعون للزكاة أكثر من التاركين لغيرها من الفرائض"[٣]، "ولثقل إخراجها على النفوس، إذ المال عدْل الروح ... وفي الآية تعريض ببنى إسرائيل إذ كانوا لا يتقون الكفر والمعاصي ولا يخرجون الزكاة لشدة حرصهم على المال".[٤] ومما يقوي هذا الرأي أن "جميع تكاليف الله محصورة في نوعين تُروك وأفعال، والأفعال قسمان راجعة إلى المال

---

(١) معالم التنزيل ٢/ ٢٣٧، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٢٣١.

(٢) ينظر: جامع البيان ١٣/ ١٦٠، وتأويلات أهل السنة ٥/ ٥٣،٥٤، والنكت والعيون للماوردي ٢/ ٢٦٧، والمحرر الوجيز ٢/ ٤٦١، وزاد المسير ٢/ ١٦٠، والبحر المحيط ٥/ ١٩٢، والجواهر الحسان ٣/ ٨٢.

(٣) تفسير المنار ٩/ ١٩٣.

(٤) التفسير الوسيط ٣/ ١٥٢٣.

وراجعة إلى نفس الإنسان أما القسم الأول: فهو الزكاة وإليه الإشارة بقوله:﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وأما القسم الثاني: فيدخل فيه ما يجب على الإنسان علمًا وعملًا، فالعلم المعرفة والعمل إقرار باللسان وعمل بالأركان، ويدخل فيها الصلاة وإلى هذا المجموع الإشارة بقوله:﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾."(١)

ثالثاً: بمعنى الصدقة.

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم:٣٩]

هذه الآية خطاب من الله للمسلمين الذين يريدون وجه الله فيخبرهم بأن "ما أعطيتم أكلة الربا من مال ليزيد لكم في أموالهم فلا يَزْكو عند الله ولا يبارك فيه، وما أعطيتم من صدقة تبتغون بها وجه الله – بدون رياء ولا طمع في مكافأة – فأولئك هم أصحاب الأضعاف من الحسنات. "(٢)

وجاءت المفردة ﴿زَّكَوٰةَ﴾هنا نكرة وهو الموضع الوحيد الذي تأتي فيه منكرة ويراد بها المال، وقد اختلف المفسرون في المقصود بهذا المال هل هو الزكاة أم الصدقة؟ "فمنهم من قال: هو ما يُزَكُّون من زكاة المال؛ يريدون به وجه الله؛ فهو الذي يقبله الله ويضاعف عليه. ومنهم من قال: كل صدقة أعطاها؛ أراد وجه الله، ولم يرد بها الثواب في الدنيا، فهي التي تتضاعف وتزداد عند الله."(٣)

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد بلفظ ﴿زَّكَوٰةَ﴾ هنا هو الصدقة، يقول ابن جرير الطبري:"﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ قال: هي الصدقة "(٤)، وفي بحر العلوم : "﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن

(١) مفاتيح الغيب ١٥/ ٣٧٩، والبحر المحيط ٥/ ١٩٢.

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٦٠٧.

(٣) تأويلات أهل السنة ٨/ ٢٨١.

(٤) جامع البيان ٢٠/ ١٠٦.

زَكَوٰةٍ﴾ يعني: ما أعطيتم من صدقة"[١]، ويقول الزمخشري: "﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ أى صدقة تبتغون بها وجهه خالصًا"[٢]

وذهب بعضهم إلى أن المراد بها زكاة المال كابن عطية فقال: "وما أعطى الإنسان من زكاة تنميةً لماله وتطهيرًا يريد بذلك وجه الله تعالى فذلك هو الذي يجازى به أضعافًا مضاعفة على ما شاء الله تعالى له"[٣]، وذهب إلى ذلك الشيخ الشعراوي رحمه الله فقال: "في موضع واحد، جاءت الزكاة بمعنى زكاة المال، لكن غير مقرونة بالصلاة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم:٣٩] "[٤]

وعند الوقوف على هذه الأقوال والتمعن فيها نجد أن دلالة المفردة ﴿زَّكَوٰةٍ﴾على معنى الصدقة هو الأقرب إلى سياق الآية؛ لأن صدر الآية يتحدث عن أخذ الربا وعن أي زيادة محرمة في المعاملة أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة فإن ذلك لا يزكو عند الله ولا يبارك فيه؛ لأنه لم يرد به وجه الله، وجاء عجز الآية يَحُثُّ على الصدقة التي يراد بها ثواب الله لا الازدياد من مال الآخذ ولا الثناء عليها، فأولئك يكون لهم الأضعاف من الأجر والحسنات، فكانت الزيادة في مال الناس ضد الزيادة في أجر الصدقات حيث "جعل الله سبحانه وتعالى الربا ضد الصدقة، فالمُرَابي ضد المتصدِّق، قال تعالى﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة:٢٧٦][٥] فنهى الله سبحانه عن الربا الذي هو ظلمٌ للناس، وأمر بالصدقة التي هي إحسانٌ إليهم. وقد أُطلِق لفظ الصدقة على الزكاة كما في قوله تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ

(١) بحر العلوم ٣/ ١٤.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٨١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٣٣٩.
(٤) تفسير الشعراوي ١٩/ ١١٦٥٨.
(٥) تفسير المنار ٣/ ٩٦.

صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [2] فأطلق لفظ الزكاة أيضًا على الصدقة حيث "انْتَظَمَ صَدَقَةَ الْفَرْضِ وَالنَّفَلِ فَصَارَ اسْمُ الزَّكَاةِ يَتَنَاوَلُ الْفَرْضَ وَالنَّفَلَ كَاسْمِ الصَّدَقَةِ وَكَاسْمِ الصَّلَاةِ يَنْتَظِمُ الْأَمْرَيْنِ."[3]، وسميت الصدقة لأنها تزكو وتنمو عند الله عز وجل، يقول محمد الأمين الهرري: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم﴾ وأعطيتم ﴿مِّن زَكَوٰةٍ﴾ أي: من صدقة تطوع إلى المساكين، سميت زكاة لأنها تزكو وتنمو حالة كونكم ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ سبحانه، وتقصدون ثوابه ورضاه، لا ثواب غيره من المكافأة، ولا رضاه بأن يكون رياءً وسمعةً"[4] ، وبناءً على ما سبق فالذي يرجحه السياق في المراد بلفظ ﴿زَكَوٰةٍ﴾هنا هو الصدقة.

(١) من الآية (١٠٣) في التوبة

(٢) من الآية (٦٠) في سورة التَّوْبَةِ.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ٤/ ١٠٣

(٤) حدائق الروح والريحان ٢٢/ ١٥٤.

المطلب الثاني:

الدلالة المجازية للمفردة القرآنية الخاصة

بمادة (ز ك ا) ومشتقاتها:

جاءت المفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا) ومشتقاتها في القرآن في مجموعة من المعاني المجازية والتي حددها السياق القرآني للآيات وهذه المعاني كالتالي:

أولًا: بمعنى الصلاح والدين والتقوى، أو العمل الصالح.

أ – معنى الدين والصلاح:

قال تعالى: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١]

هذه الأية تحكي عن قصة سيدنا موسى والخضر وما فعله الخضر بقتله للغلام فاستنكر سيدنا موسى فعله ففسر له ذلك الفعل بأن الغلام كان أبواه صالحين فخشي أن يردهما عن دينهما بسبب فسوقه وفجوره فقتله، ثم قال: " فأردنا بقتله أن يعوِّضهما الله عنه ولدًا خيرًا منه دينًا وأعظم برًا وعطفًا."(١)

والمعوَّل عليه في هذه الآية هو المفردة ﴿زَكَوٰةً﴾ حيث اختلف المفسرون في معناها إلى قولين:

الأول: بمعنى الصلاح والدين والتقوى، وإلى ذلك ذهب أكثر المفسرين، يقول الطبري: "وقوله:﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ يقول: خيرًا من الغلام الذي قتله صلاحًا ودينًا."(٢)، ويقول البغوي: "﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾، أي صلاحًا وتقوى"(٣)

الثاني: بمعنى الطهارة والنقاء من الذنوب، وذهب إلى ذلك جماعة من المفسرين، منهم الزمخشري حيث يقول: "والزكاة: الطهارة والنقاء من الذنوب."(٤)، ويقول البيضاوي: "

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٤٣٨.

(٢) جامع البيان ١٨/ ٨٧.

(٣) معالم التنزيل ٣/ ٢١٠.

(٤) الكشاف ٢/ ٧٤١.

﴿زَكَوٰةً﴾ طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة."[1]، وفي البحر المحيط: "والزكاة هنا الطهارة والنقاء من الذنوب وما ينطوي عليه من شرف الخلق والسكينة"[2].

والمتأمل في هذه الأقوال يرى أنها صالحة للدلالة على معنى الزكاة هنا إلا أن القول الأول- بمعنى الدين والصلاح والتقوى- أقربها لسياق الآية وذلك من عدة وجوه:

الأول: إجماع كثير من المفسرين واللغويين[3]على هذا المعنى.

الثاني: سياق الآيات يرجح هذا المعنى وذلك أن الآيات تتحدث عن الغلام وأن أبويه كانا مؤمنين وكان هو كافرًا، فخشي الخضر أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا، وأن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه، فكان مقابل ذلك أن يرزق الله هذين الأبوين بدلًا عن ابنهما هذا ولدًا يكون خيرًا منه صلاحًا ودينًا وتقوى، وأقرب رُحُما منهما بالأول الذي قتله الخضر، فجاء الدين والصلاح هنا في مقابلة الكفر والعقوق، وهذا المعنى يناسبه السياق أكثر من معنى الطهارة.

الثالث: مَن ذهب إلى أن المقصود بالزكاة هنا الطهارة، أراد المعنى اللغوي وليس معناها السياقي حيث إن المقصود بها هنا الإسلام أو صلاح الأعمال[4]

ب - بمعنى العمل الصالح:

١ - قال تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٣]

تتحدث هذه الآية عن بعض أوصاف سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام ومن هذه الأوصاف أن: "طبَّعه الله على الحنان، وسمو النفس، ونشَّأه على التقوى."[5]

وقد ذهب المفسرون إلى أن تفسير كلمة ﴿زَكَوٰةً﴾ هنا تحتمل عدة معان، وهي: العمل

---

(١) أنوار التنزيل ٣/ ٢٩٠.

(٢) البحر المحيط ٧/ ٢١٥.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ١٥٧، والزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ١١١، ولسان العرب (ز ك ا) ١٤/ ٣٥٨، وتاج العروس (ز ك و) ٩٣٨/ ٢٢٣.

(٤) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم ٢٣/ ٣٥٠.

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٤٤٤.

الصالح، والطهارة، وحسن الثناء، والبركة والنماء، والصدقة، والطاعة والإخلاص.

يقول ابن الجوزي: "وفي قوله:﴿وَزَكَوٰةً﴾ أربعة أقوال: أحدها: أنها العمل الصالح، قاله الضحاك، وقتادة. والثاني: أن معنى الزكاة: الصدقة، فالتقدير: إن الله تعالى جعله صدقة تصدّق بها على أبويه، قاله ابن السائب. والثالث: أن الزكاة: التطهير، قاله الزجاج. والرابع: أن الزكاة: الزيادة، فالمعنى: وآتيناه زيادة في الخير على ما وُصف وذُكِر"[١]، ويقول أبو الطيب القِنَّوجي: "والزكاة التطهير والبركة والتنمية والبر أي جعلناه مباركًا للناس يهديهم إلى الخير، وقيل ذكيناه بحسن الثناء عليه كتزكية الشهود، وقيل صدقة تصدقنا بها على أبويه قاله ابن قتيبة، وقيل تصدقًا على الناس أي أعطيناه توفيقًا للتصدق عليهم وقيل يعني بالزكاة الطاعة والإخلاص، وقيل: هي العمل الصالح، فلم يعمد بذنب."[٢]

والناظر في هذه المعاني يجد أنها صالحة للدلالة على لفظ ﴿وَزَكَوٰةً﴾ هنا، فهي قريبة كل القرب من بعضها، لكن بتمحص النصوص جيدًا وجدنا أن سياق الآية هنا يرشح معنى العمل الصالح؛ حيث إن الآيات تتحدث عن صفات سيدنا يحيى عليه السلام ومن هذه الصفات أن الله عز وجل أتاه الحكم صبيًا وأتاه رحمة وشفقة وعطفًا على العباد، ثم قال وأتيناه زكاة أي صلاحًا بتوفيقنا إياه للعمل بما يرضي الله تعالى ويتقرب به إليه، فلذلك عطف عليها بقوله: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾"أي مسلمًا مخلصًا مطيعًا لأمر ربه، منتهيًا عما نهى عنه، وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولا همّ بها"[٣]، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ يَلْقَى اللَّهَ قَدْ هَمَّ بِخَطِيئَةٍ، أَوْ عَمِلَهَا إِلاَّ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا فَإِنَّهُ لَمْ يَهِمَّ بِهَا وَلَمْ يَعْمَلْهَا."[٤]، وهذه التقوى منه لا تكون إلا بصلاحه وإخلاصه، يقول البغوي: "ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد، ليدعوهم

---

(١) زاد المسير ٣/ ١٢٢.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ٨/ ١٤٤.

(٣) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد للساعاتي٢٠/ ١٣٠.

(٤) أخرجه البزار في مسنده رقم ٤٧٨٤ جـ١١/ ٧٨.

إلى طاعة ربهم ويعمل عملًا صالحًا في إخلاص."[١]

ويمكن حمل بقية المعاني الأخرى على هذا المعنى، فالطهارة من الذنوب تتطلب عملًا صالحًا، يقول الشنقيطي: "وقول من قال من العلماء: بأن المراد بالزكاة في الآية العمل الصالح، راجع إلى ما ذكرنا; لأن العمل الصالح هو الذي تكون به الطهارة من الذنوب والمعاصي."[٢]، وكذلك حسن الثناء، والبركة والنماء، والصدقة، والطاعة كلها لا تتحقق ولا تكون إلا بالعمل الصالح. لذلك كان هذا المعنى مناسبًا للسياق أكثر من المعاني الأخرى.

٢ – قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [فاطر:١٨]

هذه الآية تعقيبًا على الآيتين السابقتين اللتين حملتا تهديدًا للناس بإفنائهم جميعا، إذا هم لم يوفوا حق الله عليهم، من إيمان به وشكر له، وفى هذه الآية تفرقة بين الناس، الذين وضعتهم الآيتان السابقتان وضعًا واحدًا في مقام التهديد فيخبر الله عز وجل بأنه لا تحمل نفس مذنبة إثم نفس أخرى، وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب شخصًا ليحمل عنها لا يحمل هذا الشخص من ذنوبها شيئًا، ولو كان ذا قرابة بها، لاشتغال كل بنفسه، ولا يحزنك – أيها النبي– عناد قومك، إنما ينفع تحذيرك الذين يخافون ربهم فى خلواتهم، وأقاموا الصلاة على وجهها، ومن تطهر من دنس الذنوب فإنما يتطهر لنفسه، وإلى الله المرجع في النهاية، فيعامل كلًا بما يستحق."[٣]

والبحث هنا يتناول الحديث حول المفردة ﴿تَزَكَّىٰ﴾ فهي فعل ماضي في محل جزم فعل الشرط، وقد اختلف العلماء في المقصود بمعناها هنا إلى ثلاثة أقوال:

الأول: بمعنى الطهارة وذهب إلى ذلك جماعة من المفسرين، يقول الطبري: " وقوله: ﴿وَمَن

(١) معالم التنزيل ٣/٢٢٧.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/ ٣٨٠.

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٦٤٦.

تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله، والإيمان به، والعمل بطاعته. فإنما يتطهر لنفسه."[١]، ويقول الشوكاني: "التزكي: التطهر من أدناس الشرك والفواحش، والمعنى: أن من تطهر بترك المعاصي واستكثر من العمل الصالح فإنما يتطهر لنفسه."[٢]

الثاني: بمعنى العمل الصالح وذهب إلى ذلك كثير من المفسرين، يقول أبو حاتم الرازي: "وفي قوله: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي من عمل عملًا صالحًا فإنما يعمل لنفسه"[٣]، ويقول ابن كثير: "﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي ومن عمل صالحًا فإنما يعود نفعه على نفسه"[٤]

الثالث: بمعنى الهداية وذكر ذلك القرطبي فقال:"﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه."[٥]

وبعد عرض هذه الأقوال الثلاثة وتأملها نجد أنها قريبة المعنى في دلالتها على لفظة ﴿تَزَكَّىٰ﴾ لكن السياق هنا يتدخل في بيان وترجيح المعنى الأقرب لهذه اللفظة وهو العمل الصالح، حيث إن سياق الآية يتحدث عن عدل الله تعالى يوم القيامة وأنه لا يُحمِّل إنسان ذنب غيره، ولا يعينه في حمله، وإن كان حمله خفيفًا، وحمل غيره ثقيلًا، كما أنه لا يقبل إنذار الرسول وينتفع به إلا الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة دون غيرهم من أهل الكفر والعناد؛ "لأن الخشية لله تستدعي من العبد العمل بما يخشى من تضييعه العقاب، والهرب مما يخشى من ارتكابه العذاب، والصلاة تدعو إلى الخير، وتنهى عن الفحشاء

---

(١) جامع البيان ٢٠/ ٤٥٦.

(٢) فتح القدير ٤/ ٣٩٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٠/ ٣١٧٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٤٨٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٣٣٩.

والمنكر."[1]، ثم حث على العمل الصالح فقال: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ بالإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي فإنما يتزكى لنفسه، وهذه الجملة اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنهما من جملة التزكي. فالتزكي شامل للخشية وإقامة الصلاة.[2] وهذا كله من جملة العمل الصالح، أيضًا من ذهب إلى أن المراد بالتزكي هنا التطهر من الشِّرك والآثام والمعاصي فإن هذا لا يكون إلا بالعمل الصالح، يقول القنوجي: "من تطهر بترك المعاصي واستكثر من العمل الصالح فإنما يتطهر لنفسه لأن نفع ذلك مختص به كما أن وزر من تدنس لا يكون إلا عليه لا على غيره."[3]

ورجَّح بعض المفسرين هذا المعنى، يقول السمعاني: "معنى التزكي هَا هُنَا هُوَ الْعَمَل الصَّالح."[4]، ويقول السيوطي: " وَفِي قَوْله: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ أَي من عمل عملًا صَالحًا فَإِنَّمَا يعْمل لنَفسِهِ"[5]، وبناء عليه فإن المراد من التزكي هنا هو العمل الصالح الذي به تزكو النفوس وتتطهر من آثار الشرك والمعاصي وهو ما رجحه سياق الآية.

ثانياً: بمعنى الطهارة والتطهير.

أ – بمعنى التطهير من الشرك والرذائل ودنس النفوس:

١ – قال تعالى﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩]

هذه الآية دعاء من سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل لأمة الحبيب محمد- ﷺ- فقالا: "ربنا وابعث فى ذريتنا رسولًا منهم يقرأ عليهم آياتك ويعلّمهم ما يوحى إليه به من كتاب وشريعة محكمة، ويطهرهم من ذميم الأخلاق، إنك أنت الغالب القاهر الحكيم فيما تأمر به وما

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٨٧، ٦٨٨.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٩/ ٢٥، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٢٥٧.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن ١١/ ٢٣٩.

(٤) تفسير القرآن ٤/ ٣٥٤.

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٧/ ١٧.

تنهى عنه."[١]

ومفردة ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾ فعل مضارع يدل على الاستقبال اختلف العلماء في معناها إلى ستة أقوال جمعها أبو حيان في تفسيره فقال: "ويزكيهم باطنًا من أرجاس الشرك وأنجاس الشك، وظاهرًا بالتكاليف التي تمحص الآثام وتوصل الإنعام. قال ابن عباس: التزكية: الطاعة والإخلاص. وقال ابن جريج: يطهرهم من الشرك. وقيل: يأخذ منهم الزكاة التي تكون سببًا لطهرتهم. وقيل: يدعوا إلى ما يصيرون به أزكياء. وقيل: يشهد لهم بالتزكية من تزكية العدول."[٢]

وهذه الأقوال جميعها صالحة للدلالة على مفردة ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾ في هذه الآية لقربها من بعضها في المعنى، لكن سياق الآية هنا يرجح ويقوي معنى التطهير أي: يطهرهم من الشرك ومن رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية، حيث إن سياق الآية يتناول دعوة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل لذريتهما من بعدهما فلما علما "أن تعليم الكتاب والحكمة لا يكفي في إصلاح الأمم وإسعادها، بل لا بد أن يقرن التعليم بالتربية على الفضائل، والحمل على الأعمال الصالحة بحسن الأسوة والسياسة، فقال:﴿يُزَكِّيهِمْ﴾أي يطهر نفوسهم من الأخلاق الذميمة، وينزع منها تلك العادات الرديئة، ويعودها الأعمال الحسنة التي تطبع في النفوس ملكات الخير، ويبغض إليها القبيحة التي تغريها بالشر"[٣]، وقد جاء ترتيب هذه الجمل في الذكر على حسب ترتيب وجودها لأن أول تبليغ الرسالة تلاوة القرآن ثم يكون تعليم معانيه قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة:١٨، ١٩] ثم العلم تحصل به التزكية وهي في العمل بإرشاد القرآن."[٤] ومما يقوي ذلك ترجيح بعض المفسرين لهذا المعنى، يقول الطبري: "فمعنى قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٢٨.

(٢) البحر المحيط ١/ ٦٢٦، ٦٢٧.

(٣) تفسير المنار ١/ ٣٨٩.

(٤) التحرير والتنوير ١/ ٧٢٣.

في هذا الموضع: ويطهرهم من الشرك بالله وعبادة الأوثان."[١] ، ويقول الرازي: "هذه التزكية لها تفسيران. الأول: ما يفعله سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة، حتى يكون ذلك كالسبب لطهارتهم... الثاني: يزكيهم، يشهد لهم بأنهم أزكياء يوم القيامة إذا شهد على كل نفس بما كسبت، كتزكية المزكي الشهود، والأول أجود لأنه أدخل في مشاكلة مراده بالدعاء، لأن مراده أن يتكامل لهذه الذرية الفوز بالجنة، وذلك لا يتم إلا بتعليم الكتاب والحكمة، ثم بالترغيب الشديد في العمل والترهيب عن الإخلال بالعمل وهو التزكية"[٢]

وهناك قرينة تؤيد هذا المعنى وهو مشاكلته لآية أخرى في القرآن، يقول الزمخشري: "﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس، كقوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].[٣] كما أن المعنى اللغوي للزكاة يؤيد هذا المعنى، يقول ابن عطية: " معناه يطهرهم وينميهم بالخير، ومعنى الزكاة لا يخرج عن التطهير أو التنمية"[٤] ، وفي اللسان: " وأَصل الزَّكَاةِ فِي اللُّغَةِ الطَّهَارَةُ والنَّماء والبَرَكةُ والمَدْح" [٥]

٢ – قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:١٥١]

في هذه الآية تذكير بالنعم التي أنعم الله بها على الأمة الإسلامية فيقول: كما أنعمنا عليكم باستقبال الكعبة أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، ويطهركم من دنس الشرك وسوء الأخلاق، ويعلمكم الكتاب والسنة وأحكام الشريعة، ويعلمكم من أخبار الأنبياء، وقصص الأمم السابقة ما كنتم تجهلونه."[٦]

---

(١) جامع البيان ٣/ ٨٨.
(٢) مفاتيح الغيب ٤/ ٥٩، ٦٠.
(٣) الكشاف ١/ ١٨٩.
(٤) المحرر الوجيز ١/ ٢١٢.
(٥) لسان العرب (ز ك ا) ١٤/ ٣٥٨.
(٦) التفسير الميسر ١/ ٢٣.

ومفردة﴿ وَيُزَكِّيكُمْ﴾ فعل مضارع يدل على الحال اختلف المفسرون في بيان معناها إلى خمسة أقوال جمعها بعض المفسرين في كتبهم، يقول ابن الجوزي: "وفي قوله تعالى: ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ﴾، ثلاثة أقوال: **أحدها**: أن معناه: يأخذ الزكاة منهم فيطهرهم بها، قاله ابن عباس والفراء. **والثاني**: يطهرهم من الشرك والكفر، قاله مقاتل. **والثالث**: يدعوهم إلى ما يصيرون به أزكياء."[١] ، ويقول الرازي: "أما قوله: ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ﴾ ففيه أقوال. أحدها: أنه ﷺ يعلمهم ما إذا تمسكوا به صاروا أزكياء. وثانيها: يزكيهم بالثناء والمدح، أي يعلم ما أنتم عليه من محاسن الأخلاق فيصفكم به، كما يقال: إن المزكي زكى الشاهد، أي وصفه بالزكاء. وثالثها: أن التزكية عبارة عن التنمية، كأنه قال يكثركم، كما قال: ﴿ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾[الأعراف:٨٦] وذلك بأن يجمعهم على الحق فيتواصلوا ويكثروا"[٢]

وبالنظر في هذه الأقوال نجد أنها متقاربة في الدلالة على معنى التزكية هنا وهو ما أشار إليه الفخر الرازي بقوله: "وهذه الوجوه غير متنافية فلعله تعالى يفعل بالمطيع كل ذلك."[٣]

لكن السياق هنا يرجح ويقوي معنى التطهير أي: يطهرهم من درن الرذائل ودنس النفوس وأفعال الجاهلية، حيث إن سياق الآية يتحدث عن النعم التي أنعم الله بها على أمة الإسلام ومن هذه النعم أن أرسل إليهم رسولًا منهم يتلو عليهم الآيات البينات "ويطهر نفوسهم من أدران الرذائل التي كانت فاشية في العرب من وأد البنات، وقتل الأولاد تخلصًا من النفقة، وسفك الدماء لأوهن الأسباب، ويغرس فيها فاضل الأخلاق وحميد الآداب."[٤]

وأتى بصفة التزكية، وهي التطهير من أنجاس الضلال؛ لأن ذلك ناشئ عن إظهار المعجز لمن أراد الله تعالى توفيقه وقبوله للحق.[٥] ، فإذا تطهرت النفس من رذائل الأخلاق ودنس

---

(١) زاد المسير ١/ ١١٣.

(٢) مفاتيح الغيب ٤/ ١٢٣.

(٣) مفاتيح الغيب ٤/ ١٢٣.

(٤) تفسير المراغي ٢/ ١٨.

(٥) البحر المحيط ٢/ ٤٧.

النفوس وأفعال الجاهلية زاد الخير فيها، "وذلك لأن في أصل خلقة النفوس كمالات وطهارات تعترضها أرجاس ناشئة عن ضلال أو تضليل، فتهذيب النفوس وتقويمها يزيدها من ذلك الخير المودع فيها"[1] ، فناسب السياق أن يكون معنى يزكيكم هنا يطهركم.

٣ - [لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران:١٦٤]

والمعنى: "لقد تفضل الله على المؤمنين الأولين الذين صحبوا النبي، بأن بعث فيهم رسولًا من أنفسهم يتلو عليهم آيات الكتاب، ويطهرهم من سوء العقيدة، ويعلمهم علم القرآن والسنة. وقد كانوا من قبل بَعثه في جهالة وحيرة وضياع."[2]

٤- قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة:٢]

الله هو الذى أرسل في العرب الذين لا يعرفون الكتابة رسولاً منهم. يقرأ عليهم آياته ويُطهرهم من خبائث العقائد والأخلاق، ويُعلمهم القرآن والتَّفقه في الدين، وأنهم كانوا قبل بعثته لفي انحراف عن الحق شديد الوضوح."[3]

ومفردة ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾هنا اختلف المفسرون في المراد منها إلى خمس تأويلات، يقول الطبري: "ويزكيهم"، يعني: يطهّرهم من ذنوبهم باتباعهم إياه وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم"[4] ، ويقول الماتريدي: "﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يحتمل: التزكية من الزكاء والنماء، وهو أن أظهر ذكرهم، وأفشى شرفهم ومذاهبهم...ويحتمل:﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم بالتوحيد، وقيل:﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يأخذ منهم الزكاة؛ ليطهرهم."[5]، ويقول ابن أبي زمنين: "﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يَعْنِي:

(١) التحرير والتنوير ٢/ ٤٩.
(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٩٧.
(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٨٢٦.
(٤) جامع البيان ٧/ ٣٦٩.
(٥) تأويلات أهل السنة ٢/ ٥٢١، ٥٢٢.

يصلحهم."[١]، ويقول الماوردي: "﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ فيه ثلاث تأويلات: أحدها: أنه يشهد لهم بأنهم أزكياء في الدين. والثاني: أن يدعوهم إلى ما يكونون به أزكياء. والثالث: أنه يأخذ منهم الزكاة التي يطهرهم بها."[٢] فهذه التأويلات جاءت بمعنى الطهارة من الذنوب، وبمعنى النماء، وبمعنى أخذ الزكاة، وبمعنى الصلاح، وبمعنى الزكاء في الدين، وهي على اختلافها متقاربة في دلالتها على معنى ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾ في هاتين الآيتين، وكلها قد تصلح في الدلالة عليها، لكن السياق يرجح ويقوى معنى واحدًا من هذه المعاني وهو معنى التطهير حيث إن سياق الآيتين يتناول الحديث عن امتنان الله على المؤمنين وعلى العرب جميعًا بأن بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آيات الكتاب، ويطهرهم من سوء العقيدة، ويعلمهم علم القرآن والسنة. فكانت "التزكية هي العمل الثاني من عمل النبي – ﷺ–، وهي تطهير نفوس المؤمنين من أدران الجاهلية، وتنميتهم وتقويتهم، فالرسالة المحمدية كأن آثارها في المؤمنين تتجه إلى ثلاث نواح: تهذيب نفوسهم آحادا، والربط بين قلوبهم جماعات، والعمل على رفع شأنهم والتمكين لهم في الأرض بأسباب القوة، والكلمة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ تشتمل على كل هذه المعاني التي ترفع من شأن أهل الإيمان."[٣]، كما أن مجيء التزكية بين تلاوة الرسول لآيات الله وتعليمهم الكتاب والحكمة "يكون ذلك كالسبب لطهارتهم، وما كان يفعله عليه السلام من الوعد والإيعاد، والوعظ والتذكير، وتكرير ذلك عليهم، ومن التشبث بأمور الدنيا إلى أن يؤمنوا ويصلحوا، فقد كان عليه السلام يفعل من هذا الجنس أشياء كثيرة ليقوي بها دواعيهم إلى الإيمان والعمل الصالح"[٤]. فكان معنى التزكية هنا: هو التطهير.

ب – بمعنى الطهارة والتطهر من الذنوب ودنس الآثام:

١ – (**بمعنى طاهرة**) قال تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ

(١) تفسير القرآن العزيز ١/ ٣٣٢.
(٢) النكت والعيون ١/ ٤٣٤.
(٣) زهرة التفاسير ٣/ ١٤٩٠.
(٤) مفاتيح الغيب ٤/ ٥٩.

نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٧٤]

هذه الآية من الآيات التي تناولت الحديث عن قصة سيدنا موسى والخضر، إذ بعد خروجهما من السفينة ذهبا منطلقين، فلقيا في طريقهما صَبِيًا فقتله العبد الصالح، فقال موسى مستنكراً: أتقتل نفسًا طاهرة بريئة من الذنوب بغير أن يقتل صاحبها أحدًا؟ لقد أتيت فعلا مستنكرًا!."[١]

والمفردة ﴿زَكِيَّةًۢ﴾ صيغة مبالغة اختلف في المراد بها هنا إلى ستة أقوال جمعها ابن الجوزي في تفسيره فقال: "وللمفسرين فيها ستة أقوال: أحدها: أنها التائبة، روي عن ابن عباس أنه قال: الزكية: التائبة، وبه قال الضحاك. والثاني: أنها المسلمة، روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: أنها الزكية التي لم تبلغ الخطايا، قاله سعيد بن جبير. والرابع: أنها الزكية النامية، قاله قتادة. والخامس: أن الزكية: المطهرة، قاله أبو عبيدة. والسادس: أن الزكية: البريئة التي لم يظهر ما يوجب قتلها، قاله الزجاج."[٢]

وبعد عرض هذه الأقوال يمكن الوقوف على المعنى الأقرب لسياق الآية وهو الطاهرة من الذنوب؛ لأن هذه اللفظة وردت في سياق قصة سيدنا موسى والخضر وقتله للغلام، فلما رأى سيدنا موسى ما فعل استنكر ذلك، وقال له: اتقتل نفسًا زكيةً؟ أي طاهرةً من الذنوب، ووصفها بهذا الوصف "إما لأنها كانت صغيرة ولم تبلغ الحلم، أو أنه لم يرها قد أذنبت ذنبًا يقتضي قتلها، أو قَتَلَتْ نفسًا فتُقاد بها، نبه به على أن القتل إنما يباح حدًا أو قصاصًا وكلا الأمرين منتف."[٣]، فدل السياق على أن المراد بزكاة النفس طهارتها، وسبب ذلك أنها نفس غلام لم يبلغ الحلم ولم يقترف ذنبًا فكان زكيًا طاهرًا، لأن أصل معنى الزكاة النمو والزيادة فلذا وردت للزيادة المعنوية وأطلقت على الطهارة من الآثام ولو بحسب الخلقة والابتداء...وأيّا ما كان فوصف النفس بذلك لزيادة تفظيع ما فعل."[٤]

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٤٣٧.

(٢) زاد المسير ٣/ ٩٩، ١٠٠.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٢٨٨، ٢٨٩.

(٤) روح المعاني ٨/ ٣١٩.

٢ – (**بمعنى طاهر**) قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٩]

تتحدث هذه الآية عن الحوار الذي دار بين المَلَك وبين السيدة مريم عندما استعاذت بالله منه فقال لها المَلَك: "ما أنا إلا رسولٌ من ربك لأكون سببًا في أن يوهب لك غلام طاهر خيّر."(١)

ووردت مفردة ﴿زَكِيًّا﴾ في هذه الآية على وزن فعيل وهي من صيغ المبالغة، وقد اختُلف في المراد منها هنا إلى خمسة أقوال ذكرها المفسرون:

يقول الرازي: "الزكي يفيد أمورًا ثلاثة: الأول: أنه الطاهر من الذنوب. والثاني: أنه ينمو على التزكية لأنه يقال فيمن لا ذنب له زكي، وفي الزرع النامي زكي. والثالث: النزاهة والطهارة فيما يجب أن يكون عليه ليصح أن يبعث نبيًا"(٢)، وفي بحر العلوم: "﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ ، يعني: ولدًا صالحًا."(٣)، ويقول الفيروزأبادي: "﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ ، أي رسولًا نبيًا."(٤)، ويقول أبو حيان: " وفسرت الزكاة هنا بالصلاح وبالنبوة."(٥)

فالمعاني التي تحتملها هذه المفردة هي الطهارة، والصلاح، والنزاهة، والرسالة والنبوة، ونامياً على الخير، وأقرب هذه المعاني إلى سياق الآية المعنى الأول وهو الطاهر من الذنوب، حيث إن سياق الآيات يصور الحوار الذي دار بين السيدة مريم وبين سيدنا جبريل حين تمثل لها في صورة بشر، ففزعت مما رأته واستعاذت بالله منه فقال مطمئنًا لها: إنما أنا رسول ربك "الذي خلقك ويعلم حالتك وطهارتك، وأنه اصطفاك من نساء العالمين؛ لتكوني موضع معجزته الكبيرة وهي خلق إنسان من غير أب."(٦) ولما كان سياق الآية يتحدث عن عفتها وطهارتها "بأنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن، وكان تمثيله

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٤٤٥.

(٢) مفاتيح الغيب ٢١/ ٥٢٢، ٥٢٣.

(٣) بحر العلوم ٢/ ٣٧١.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/ ١٣٤.

(٥) البحر المحيط ٧/ ٢٤٩.

(٦) زهرة التفاسير ٩/ ٤٦٢٣.

على تلك الصفة ابتلاءً لها وسبرًا لعفتها."[١]، قابل الله بعفتها وطهارتها أن أعاضها ولدًا طاهرًا من الذنوب ينمو على النزاهة والعفة، وهذا يدل على "أن الزكاء شامل للزيادة المعنوية كالطهارة، والحسية."[٢]، وهذا "يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة واتصافه بالخصال الحميدة"[٣]

٣- (**بمعنى تَطَهَّر**) قال تعالى:﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾[طه:٧٦]

يبين الله عز وجل في الآية أن من يأتي يوم القيامة مؤمنًا يعني: مصدقًا، قَدْ عَمِلَ الصَّالِحاتِ يعني: الطاعات. فأولئك لهم الدرجات العلى. ثم بين تلك الدرجات العلى ما هي؟ فقال: "هى الإقامة فى جنات النعيم تجرى بين أشجارها الأنهار خالدين فيها، وذلك جزاءً لمن طهر نفسه بالإيمان والطاعة بعد الكفر والمعصية."[٤]

واللفظ المفرد ﴿تَزَكَّىٰ﴾ في هذه الآية اختلف المفسرون في المراد به إلى أربعة أقوال:

الأول: أن المراد به هو التطهر من الذنوب وأدناس الكفر والمعاصي، وذهب إلى ذلك جمهور المفسرين، يقول الطبري: "وقوله ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ يعني: من تطهر من الذنوب، فأطاع الله فيما أمره، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه."[٥]، ويقول ابن الجوزي: "﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: تطهّر من الكفر والمعاصي."[٦]

الثاني: المراد به الصلاح والنماء، وذهب إلى ذلك الماتريدي فقال: "وقوله – عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: ذلك الذي ذكر جزاء من صلح عمله وأنماه، والزكاة: هي

---

(١) البحر المحيط ٧/ ٢٤٨.

(٢) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي ٦/ ١٤٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٩١.

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٤٦٣.

(٥) جامع البيان ١٨/ ٣٤٣.

(٦) زاد المسير ٣/ ١٦٩.

النماء في اللغة."[١] ويقول السعدي: "وزكَّى أيضًا نفسه، نمَّاها بالإيمان والعمل الصالح."[٢]

الثالث: المراد به التوحيد، وذهب إلى ذلك بعض المفسرين، يقول السمرقندي: "﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾، يعني: ثواب من وحَّد."[٣]، ويقول النيسابوري: "﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾أي قال «لا إله لا إلا الله» قاله ابن عباس."[٤]

الرابع: المراد به طاعة الله، وذهب إلى ذلك ابن عطية فقال: "و﴿تَزَكَّىٰ﴾ معناه أطاع الله تعالى وأخذ بأزكى الأمور"[٥]

والمتأمل في هذه الأقوال يجد أنها متقاربة المعنى في دلالتها على لفظ﴿تَزَكَّىٰ﴾لكن سياق الآية يرجح ويقوي القول الأول وهو التطهر من الذنوب؛ لأن الآية قبلها تتحدث عن من لقي ربه يوم المعاد مؤمن القلب، وقد عمل الصالحات في الدنيا فأولئك لهم الدرجات العلى، أي المنازل الرفيعة. "ولما دلت هذه الآية على أن الدرجات العالية هي جزاء من تزكى أي تطهر عن الذنوب وجب بحكم ذلك الخطاب أن الدرجات التي لا تكون عالية لا تكون جزاء من تزكى فهي لغيرهم ممن يكون قد أتى بالمعاصي وعفا الله بفضله ورحمته عنهم."[٦]؛ لأن في طهارة النفس تنمية لها وصلاحًا وطاعة لله ، حيث إن "الطهارة للأشياء سابقة على تنميتها؛ لأن دَرْءِ المفسدة مُقدَّم على جلب المصلحة. فزكَّى نفسه: طهَّرها أولًا، ثم يُنمِّيها ثانيًا، كمَنْ يريد التجارة، فعليه أولًا أن يأتي برأس المال الطاهر من حلال ثم يُنمِّيه، لكن لا تأتي برأس المال مُدنّسًا ثم تُنمِّيه بما فيه من دَنَسٍ. وكلما نَمَّى الإنسانُ إيمانَهُ ارتقى في درجاته، فكانت له الدرجات العُلاَ في الآخرة."[٧]

---

(١) تأويلات أهل السنة ٧/ ٢٩٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥١٠.

(٣) بحر العلوم ٢/ ٤٠٦.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤/ ٥٦٠.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤.

(٦) مفاتيح الغيب ٢٢/ ٨٠.

(٧) تفسير الشعراوي ١٥/ ٩٣٣٦.

٤ – (**بمعنى طَهُر**) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور:٢١]

هذه الآية نداء من الله للمؤمنين مخاطبًا إياهم بقوله: "يا أيها الذين آمنوا حصِّنوا أنفسكم بالإيمان، ولا تسيروا وراء الشيطان الذى يجركم إلى إشاعة الفاحشة والمعاصي بينكم. ومن يتبع الشيطان فقد عصى؛ لأنه يأمر بكبائر الذنوب وقبائح المعاصي، ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم ببيان الأحكام وقبول توبة العصاة ما طهر أحد منكم من دنس العصيان. ولكن الله يطهر من يتجه إلى ذلك بتوفيقه للبعد عن المعصية، أو مغفرتها له بالتوبة، والله سميع لكل قول، عليم بكل شيء، ومجازيكم عليه."(١)

ومدار كلامنا هنا حول المفردة ﴿زَكَىٰ﴾ في هذه الآية، حيث اختلف المفسرون في بيان معناها إلى خمسة أقوال:

الأول: بمعنى الطهارة، وذكر هذا المعنى أكثر المفسرين وعلى رأسهم الطبري فقال: "يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم، ما تَطَهَّر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه، ولكن الله يطهرُ من يشاء من خلقه."(٢)، ويقول البيضاوي: "﴿مَا زَكَىٰ﴾ ما طَهُر من دنسها مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً آخر الدهر."(٣)

الثاني: بمعنى الهداية، ونسب هذا إلى ابن عباس حيث يقول فِي قَوْله: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ يَقُولُ: ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه، ولم يتق شيئا من الشرّ يدفعه عن نفسه."(٤)

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٥٢٠.

(٢) جامع البيان ١٩/ ١٣٥.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ١٠٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٥٥٣، وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦/ ١٦٢.

الثالث: بمعنى الإسلام، ونسب ذلك إلى ابن زيد فقال: " ﴿مَا زَكَىٰ﴾: ما أسلم، وقال: كلّ شيء في القرآن من زكى أو تَزكى، فهو الإسلام."(١)

الرابع: بمعنى الصلاح، ونسب ذلك إلى سعيد بن جبير فقال:" ﴿مَا زَكَىٰ﴾ يَعْنِي مَا صَلَحَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا."(٢)

الخامس: بمعنى التوفيق والعصمة، وذكر هذا المعنى أبو منصور الماتريدي فقال: " التزكية تحتمل التوفيق، والعصمة؛ يزكون بما أعطى لهم من التوفيق والعصمة."(٣)

فنحن هنا أمام خمسة أقوال لبيان معنى لفظة ﴿زَكَىٰ﴾ في الآية السالفة الذكر وكل هذه الأقوال قريبة في دلالتها على معنى هذه اللفظة، وهنا يأتي دور السياق في ترجيح أحد هذه المعاني حيث رجَّح المعنى الأول وهو الطهارة وذلك؛ لأن سياق الآيات قبلها متعلق بموضوع حديث الإفك وهذه "الآية متصلة أيضًا بسابقاتها سياقًا وموضوعًا اتصال تعقيب وعظة وتنبيه على ما هو المتبادر. والخطاب فيها موجه للمؤمنين يُحَذَّرون فيه من اتباع خطوات الشيطان ووساوسه وهو إنما يأمر بالفحشاء والمنكر. ويُذَكَّرون فيه مرة أخرى بفضل الله ورحمته بهم فلولاه ما زكى أحد منهم أبدًا أي: ما طهرت سريرته وصفت نيته، وهو السميع لكل شيء، والعليم به... ومع اتصال الآية بموضوع حديث الإفك فإن أسلوبها هي الأخرى تقريري عام في حق كل أحد، وما احتوته من نهي وتنبيه وتذكير موجه للمسلمين في كل ظرف ومكان كما هو واضح."(٤)

ويقوي هذا المعنى أيضًا ترجيح كثير من المفسرين له، يقول الشوكاني: "والأولى: تفسير زكى بالتطهر والتطهير، قال الكسائي: إن قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ معترض، وقوله: ﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدًا﴾جواب لقوله أولًا وثانيًا: ﴿وَلَوۡلَا

---

(١) ينظر: جامع البيان ١٩/ ١٣٥، تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٥٥٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨/ ٢٥٥٣.

(٣) تأويلات أهل السنة ٧/ ٥٣٥.

(٤) التفسير الحديث ٨/ ٣٨٩.

فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾.[1] وقراءة التخفيف أرجح لقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ من عباده بالتفضُّل عليهم، والرحمة لهم؛ أي: ولكن الله جلت قدرته يطهر من يشاء من خلقه بقبول توبتهم من تلك الذنوب، التي اجترحوها تفضلًا منه ورحمة، كما فعل بمن سَلِم من داء النفاق، ممن وقع في حديث الإفك، كحسان ومسطح وغيرهما.[2]

ويقول الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي رحمه الله: "والمراد بالتزكية هنا: التطهير من أرجاس الشرك، ومن الفسوق والعصيان."[3]، ويقول الشيخ أبو زهرة: "الزكاة تطلق بمعنى التنمية، وتطلق بمعنى الطهارة، وهنا بمعنى تزكية العقول في النفس، وامتلائها طهرًا، وعفافًا وإيمانًا"[4]

وبناء عليه فإن لفظة ﴿زَكَىٰ﴾ يقصد بها ما طهُر أحد منكم من دنس الذنوب إلى آخر الدهر ولكن الله يُطَهِّر من يشاء من عباده من الذنوب بحمله على التوبة وبقبولها.

٥- (**بمعنى أطهر**) قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠]

لما ذكر سبحانه حكم الاستئذان، أتبعه بذكر حكم آخر وهو حفظ البصر والفرج فقال تعالى: "قل – يا أيها النبي – للمؤمنين –: إنهم مأمورون ألا ينظروا إلى ما يحرم النظر إليه من عورات النساء ومواطن الزينة منهن، وأن يصونوا فروجهم بسترها وبعدم الاتصال غير المشروع، ذلك الأدب أكرم بهم وأطهر لهم وأبعد عن الوقوع في المعصية والتُهَم. إن الله عالم أتم العلم بجميع ما يعملون ومجازيهم على ذلك."[5]

وجاءت المفردة القرآنية ﴿أَزْكَىٰ﴾ في هذه الآية اسم تفضيل مسلوب المفاضلة. والمراد تقوية

---

(١) فتح القدير ٤/ ١٨.

(٢) حدائق الروح والريحان ١٩/ ٢٦٦.

(٣) التفسير الوسيط ١٠/ ١٠١.

(٤) زهرة التفاسير ١٠/ ٥١٦٧.

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٥٢٢.

تلك التزكية لأن ذلك جُنة من ارتكاب ذنوب عظيمة.[١] واختلف في المراد بمعناها هنا إلى قولين:

الأول: بمعنى أطهر، يقول السمعاني: "وَقَولـه: ﴿ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أَي: أطهر لَهُم."[٢]، ويقول النسفي: " ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي أطهر من دنس الاثم."[٣]

الثاني: بمعنى خير وأفضل، يقول الواحدي: "﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ خير لهم وأفضل عند الله"[٤]، وفي زاد المسير: " قوله تعالى: ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ أي خير وأفضل"[٥]

مما سبق يمكن القول بأن هذين المعنين قريبان في الدلالة على معنى المفردة ﴿أَزْكَىٰ﴾ في هذه الآية، إلا أن السياق يميل الى ترجيح معنى أطهر؛ لأن هذه اللفظة وردت في سياق خطاب الله تعالى للمؤمنين بغض البصر وحفظ الفرج، وأن تمسكهم بذلك أطهر لهم؛ لأنهم يتطهرون بذلك من دنس الآثام، فهو من باب ما يُزَكُّون به، ويستحقون الثناء والمدح، وخص الله تعالى في الخطاب المؤمنين لما أراده من تزكيتهم بذلك، وهذا لا يليق بالكافر."[٦]، "وقدَّم غض البصر على حفظ الفرج لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه أشد وأكثر لا يكاد يقدر على الاحتزاز منه."[٧] فَإِذَا غَضَّ بَصَرَهُ كَانَ أَطْهَرَ لَهُ مِنْ الذُّنُوبِ، وَأَنْمَى لِأَعْمَالِهِ فِي الطَّاعَةِ[٨]، ونتيجة لذلك يكون "المجتمع طاهرًا نقيًا سليمًا، والبيوت طاهرة سليمة، وهم في ذات أنفسهم أطهار طيبون، ويكونون خيرًا في خير يظلهم

---

(١) التحرير والتنوير ١٨/ ٢٠٤.

(٢) تفسير السمعاني ٣/ ٥٢٠.

(٣) مدارك التنزيل ٢/ ٤٩٩.

(٤) التفسير الوسيط ٣/ ٣١٥.

(٥) زاد المسير ٣/ ٢٩٠.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٣/ ٣٦٣، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥/ ١٨١.

(٧) البحر المحيط ٨/ ٣٣.

(٨) أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٣٧٨.

الخير دائمًا."[١]، لذلك جاء التعبير هنا بصيغة أفعل التفضيل ﴿أَزۡكَىٰ﴾ "للمبالغة في أنّ غضّ الأبصار وحفظ الفروج يطهّران النفوس من دنس الرذائل."[٢]

ولما كان سياق الآية يتناول الحديث عن غض البصر وحفظ الفرج والذي أشار إليه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ﴾ أي أطهر لهم من دنس الريبة وأطيب من التلبس بهذه الدنيئة "ذيَّل بجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ لأنه كناية عن جزاء ما يتضمنه الأمر من الغض والحفظ لأن المقصد من الأمر الامتثال"[٣]

٦- (**بمعنى تتطهّر**): ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾[النازعات:١٨]

هذه الآية خطاب من الله تعالى لسيدنا موسى بالذهاب لفرعون ودعوته إلى توحيد الله وترك الشرك والعصيان فقال له: "فقل: هل لك في أن تتطهر؟"[٤]

والمفردة القرآنية ﴿تَزَكَّىٰ﴾ فعل مضارع أصله تتزكى فحذفت إحدى التاءين للتخفيف وهو "مطاوع زكَّاه، أي جعله زكيًا."[٥] . وقد اختلف المفسرون في معناها هنا إلى خمسة أقوال:

الأول: بمعنى التطهر:، يقول ابن جرير الطبري: وقوله: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ يقول: فقل له: هل لك إلى أن تتطهَّر من دنس الكفر، وتؤمِن بربك؟"[٦]

الثاني: بمعنى زكاء النفس ونمائها، يقول الماتريدي: "وقوله: ﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: هل لك في إجابة من إذا أجبت تزكيت، أو هل لك رغبة إلى ما تزكو به نفسك وتنمو."[٧]

---

(١) زهرة التفاسير ١٠/ ٥١٨١.

(٢) تفسير آيات الأحكام للسايس ص ٥٨٢.

(٣) التحرير والتنوير ١٨/ ٢٠٤.

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٨٨٢.

(٥) التحرير والتنوير ٣٠/ ٧٦.

(٦) جامع البيان ٢٤/ ٢٠٠.

(٧) تأويلات أهل السنة ١٠/ ٤٠٨، ٤٠٩.

الثالث: بمعنى الإسلام والتوحيد، يقول السمرقندي: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ يعني: ألم يأن لك أن تسلم. ويقال: معناه هل ترغب في توحيد ربك، وتشهد أن لا إله إلا الله، وتزكي نفسك من الكفر، والشرك."(١)

الرابع: بمعنى الإيمان، يقول ابن أبي زمنين:﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾إِلَى أَن تؤمن"(٢)

الخامس: بمعنى العمل الخيّر، يقول الماوردي: "﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ فيه قولان: أحدهما إلى أن تُسْلِم ، الثاني: إلى أن تعمل خيراً."(٣)

وإذا تأملنا هذه الآراء جميعًا نجد أن أقربها لسياق الآية هو المعنى الأول وهو التطهر حيث إن لفظ التزكية في هذه الآية ورد في ذكر قصة سيدنا موسى مع فرعون طاغية مصر حين قال الله لموسى: اذهب إلى فرعون، فإنه قد أفرط في العصيان، فقل له: أتودُّ أن تطهِّر نفسك من الشرك والعصيان وتتلبس بالطاعة والإيمان، "فأُمر عليه السلام أن يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف ويستنزله بالمداراة من عُتوّه"(٤)

فجاء معنى التطهير مناسبًا لسياق الآية، خاصة وأنه قد يعم بقية المعاني الأخرى، يقول ابن عطية: "والتزكي هو التطهر من النقائص، والتلبس بالفضائل، وفسر بعضهم: تَزَكَّى بتسلم وفسرها بقول: لا إله إلا الله، وهذا تخصيص وما ذكرناه يعم جميع هذا"(٥)، وصرح بذلك الفخر الرازي: فقال: "الزكي الطاهر من العيوب كلها، وهذه الكلمة جامعة لكل ما يدعوه إليه، لأن المراد هل لك إلى أن تفعل ما تصير به زاكيًا عن كل ما لا ينبغي، وذلك بجمع كل ما يتصل بالتوحيد والشرائع."(٦)، ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾

---

(١) بحر العلوم ٣/ ٥٤٣.

(٢) تفسير القرآن العزيز ٥/ ٩٠.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٩٧.

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن ١٥/ ٦١.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٣.

(٦) مفاتيح الغيب ٣١/ ٣٩.

[النازعات:١٩] وذلك لأن من "خشي الله تعالى أتى منه كل خير، ومن أمن اجترأ على كل شر... وتقديم التزكية على الهداية لأنها تخلية."[١] فإذا تخلى العبد عن الشرك والمعاصي بالتطهر منها كان من المهتدين، فإذا اهتدى خشي العقاب؛ "لأن الخشية لا تكون إلا من مهتد راشد"[٢]

٧- (**بمعنى يتطهر**) قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾[عبس:٣]

هذه الآية عتاب من الله عز وجل لنبيه-ﷺ- في شأن ابن أم مكتوم ، وذلك أن قومًا من أشراف قريش كانوا عند النبي-ﷺ- ، وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبد الله بن أم مكتوم، وقطع عليه كلامه، فكره رسول الله-ﷺ- ذلك فأعرض عنه، فخاطبه الله بقوله: "ومَا يُدْريك لعل هذا الأعمى يتطهر بما يتلقاه عنك."[٣]

وأصل ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ يتزكى "قلبت التاء زايًا لتقارب مخرجيهما قصدًا ليتأتى الإدغام، والتزكي: مطاوع زكَّاه، أي يحصل أثر التزكية في نفسه."[٤] ، هذا واختلف المفسرون في المراد بالمفردة ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ في هذه الآية إلى عشرة أقوال جمعها بعضهم في تفسيره، يقول الطبري: "وقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي وما يدريك يا محمد لعلّ هذا الأعمى الذي عَبَست في وجهه يَزَّكَّى: يتطهَّر من ذنوبه. وقال ابن زيد، في قوله: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ يسلم."[٥]، وفي بحر العلوم: "﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ يعني: وما يدريك يا محمد، لعله يصلي أو يفلح، فيعمل خيراً فيتعظ بالقرآن. ويقال: يعني: يزداد خيرًا."[٦]، ويقول الماوردي:"﴿وَمَا يُدْرِيكَ

(١) روح المعاني ١٥/ ٢٣٠.
(٢) فتح القدير ٥/ ٤٥٤.
(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٨٨٤.
(٤) التحرير والتنوير ٣٠/ ١٠٦.
(٥) جامع البيان ٢٤/ ٢١٩.
(٦) بحر العلوم٣/ ٥٤٦.

لَعَلَّـهُۥ يَـزَّكَّىٰٓ ﴾ فيـه أربعة أوجـه: أحدها: يؤمن. الثـاني: يتعبد بالأعمـال الصالحة. الثالث: يحفظ مـا يتلـوه عليـه مـن القرآن. الرابـع: يتفقـه فـي الـدين."[١]، وفـي تفسـير ابـن عطيـة: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي تنمو بركته وتطهره الله وينفعه إيمانه"[٢]

فهذه الأقوال ذكرت المعاني المرادة في لفظ "يَزَّكَّى" وهي يتطهر، يسلم، يصلي، يفلح، يعمل خيرًا، يزداد خيرًا، يؤمن، يتعبد بالأعمال الصالحة، يحفظ ما تتلوه عليه من القرآن، يتفقَّه في الدين، تنمو بركته، ولكن أقرب هذه المعاني لسياق الآيات هو معنى التطهر حيث وردت لفظة ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ في هذه الآية في سياق قصة ابن مكتوم حينما أعرض عنه النبي وكره مقاطعته له عندما كان يخاطب بعض أشراف قريش، فالسياق هنا يصور حال النبي وإعراضه عنه وحال ابن أم مكتوم ومقاطعته له، فبدأ السياق بالتعبير بأسلوب الغيبة بقوله:﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾"والسر في ذلك تعظيم النبي- ﷺ- لما فيه من التلطف في مقام العتاب بالعدول عن المواجهة في الخطاب"[٣] ثم التفت سبحانه من الغيبة إلى خطاب نبيه -ﷺ- في قوله سبحانه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ "لأن المشافهة أدخل في العتاب."[٤]، ولما في الالتفات "من الإيناس بعد الإيحاش والإقبال بعد الإعراض"[٥]، "وجملة ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ مستأنفة لبيان أن له شأناً ينافي الإعراض عنه أي لعله يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمه منك لا من الشرك لأنه أسلم قديماً بمكة"[٦]، وهذا يرد قول من فسَّر معنى ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ بالإسلام أو الإيمان. لذلك ناسب السياق أن يكون المقصود منها معنى التطهر، يقول الزمخشري: "﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٠٢، ٢٠٣، وينظر : تفسير العز بن عبد السلام ٣/ ٤٢٠.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٧.
(٣) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني ١/ ٧٢٢.
(٤) فتح القدير ٥/ ٤٦٢.
(٥) روح المعاني ١٥/ ٢٤٢.
(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن ١٥/ ٧٧.

أوضار الإثم ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ أو يتعظ فَتَنْفَعَهُ ذكراك، أي: موعظتك، وتكون له لطفًا في بعض الطاعات."[١]، وقدم التزكي على التذكر لتقدم التخلية على التحلية"[٢]. فالتزكي: تطهير، وهذا جانب التخلية، وحصول التذكر في القلب تحلية"[٣] أي: "فلعله يتطهر بما يقتبس منك من الإثم، أو يتعظ، فتنفعه موعظتك، إن لم يبلغ درجة التطهر التام."[٤]

٨- (**بمعنى تطهّر**) قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤]

أي "قد فاز مَن تطهر من الكفر والمعاصي."[٥]

واختلف المفسرون في معنى مفردة ﴿تَزَكَّىٰ﴾هنا إلى تسعة أقوال جاءت مجملة عند بعضهم يقول أبو حاتم الرازي: "قوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ عن عكرمة: من قال لا إله إلا الله وعن عطاء قال: من أكثر الاستغفار، وعن قتادة رضي الله عنه قال: بعمل صالح ، وعن عطاء رضي الله عنه قال: أدَّى زكاة الفطر، وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قد أفلح من تزكى يعني من ماله، وعن قتادة رضي الله عنه قال: من أرضى خالقه من ماله "[٦]، ويقول ابن الجوزي: "مَنْ تَزَكَّى فيه خمسة أقوال: أحدها: من تطهَّر من الشرك بالإيمان، قاله ابن عباس. والثاني: من أعطى صدقة الفطر، قاله أبو سعيد الخدري، والثالث: من كان عمله زاكياً، قاله الحسن، والربيع. والرابع: أنها زكوات الأموال كلّها، قاله أبو الأحوص. والخامس: تكثَّر بتقوى الله. ومعنى الزاكي: النامي الكثير، قاله الزّجّاج."[٧]

وبالتأمل في هذه الآراء نجد أن كل واحد منها صالح للدلالة على لفظ ﴿تَزَكَّىٰ﴾لكن أقربها إلى سياق الآية هو معنى التطهر، فسياق الآية قبلها يتحدث عن ذكر الله تعالى لوعيد من

---

(١) الكشاف ٤/ ٧٠١.

(٢) روح المعاني ١٥/ ٢٤٢.

(٣) تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار ص: ٥١.

(٤) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ٢/ ٦٠٣.

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٩٠١.

(٦) تفسير القرآن العظيم١٠/ ٣٤١٨،٣٤١٧.

(٧) زاد المسير في علم التفسير ٤/ ٤٣٢، ٤٣٣.

أعرض عن النظر والتأمل في دلائل الله تعالى ووحدانيته، ثم أتبعه بالوعد لمن تزكى وتطهر من دنس الشرك[١] يضاف إلى ذلك أن باقي هذه المعاني قد ترجع إليه، يقول أبو جعفر النحاس: "فهذه الأقوال متقاربة لأن التزكي في اللغة التطهر، وهذا كله تطهر لأنه انتهاء إلى ما يُكَفِّر الذنوب."[٢] ومعنى﴿تَزَكَّىٰ﴾ عالج أن يكون زكيا، أي بذل استطاعته في تطهير نفسه وتزكيتها ... وقدم التزكي على ذكر الله والصلاة لأنه أصل العمل بذلك كله فإنه إذا تطهرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية فعلمت منافعها وأكثرت من الإقبال عليها.[٣]

ويقوي هذا ما ذهب إليه الرازي بقوله: "وهذا الوجه فإنه معتضد بوجهين: الأول: أنه تعالى لما لم يذكر في الآية ما يجب التزكي عنه علمنا أن المراد هو التزكي عما مرَّ ذكره قبل الآية، وذلك هو الكفر، والثاني: أن الاسم المطلق ينصرف إلى المسمى الكامل، وأكمل أنواع التزكية هو تزكية القلب عن ظلمة الكفر فوجب صرف هذا المطلق إليه."[٤]، وفي الآية إشارة إلى تطهير النفس عن المخالفات الشرعية وتطهير القلب عن المحبة الدنيوية بل عن ملاحظة الغير والتوجه إلى الله تعالى بقدر الاستعداد إذ لا يكلف الله نفسًا الا وسعها"[٥]

وقد رد العلماء بعض معاني مفردة ﴿تَزَكَّىٰ﴾؛ لكونها لا تتفق مع سياق الآية، فمن ذهب إلى أن المراد بلفظ ﴿تَزَكَّىٰ﴾ زكاة الفطر فيه إشكال من وجهين الأول: أن عادة الله تعالى في القرآن تقديم ذكر الصلاة على ذكر الزكاة لا تقديم الزكاة على الصلاة[٦]، والثاني: هذه السورة مكية بالإجماع ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر.[٧]

---

(١) مفاتيح الغيب ٣١/ ١٣٥.
(٢) الناسخ والمنسوخ ص ٧٦١.
(٣) التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٨٧، ٢٨٨.
(٤) مفاتيح الغيب ٣١/ ١٣٥.
(٥) روح البيان ١٠/ ٤١٠.
(٦) مفاتيح الغيب ٣١/ ١٣٦.
(٧) الكشف والبيان ١٠/ ١٨٥.

ومن ذهب إلى أن المراد بلفظ﴿تَزَكَّىٰ﴾ زكاة الأموال كلها، فليس المراد منه زكاة المال بل زكاة الأعمال أي من تطهر في أعماله من الرياء والتقصير، لأن اللفظ المعتاد أن يقال: في المال زكَّى ولا يقال تزكى قال تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر:١٨]"[١]

وبناء عليه فإن المعنى المقصود بلفظ ﴿تَزَكَّىٰ﴾ في هذه الآية هو التطهر أي "تَطَهَّر ظاهره وباطنه، فتطهر باطنه من الشرك بالله عز وجل، ومن النفاق، ومن العداوة للمسلمين والبغضاء، وغير ذلك مما يجب أن يتطهر القلب منه، وتطهر ظاهره من إطلاق لسانه وجوارحه في العدوان على عباد الله عز وجل، فلا يغتاب أحدًا، ولا يسب أحدًا، ولا يعتدي على أحد، فالتزكي كلمة عامة تشمل التطهر من كل درن ظاهر أو باطن"[٢]

ثالثاً: بمعنى النماء والزيادة.

١ – قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٣٢]

هذا خطاب لأولياء المرأة المطلقة دون الثلاث إذا خرجت من العدة، وأراد زوجها أن ينكحها، ورضيت بذلك، فلا يجوز لوليها، أن يمنعها من التزوج به فقال: "وإذا طلقتم النساء وأتممتم عدتهن، وأرادت إحداهن أن تستأنف زواجًا جديدًا من المطلِّق أو من رجل آخر غيره، فلا يحل للأولياء ولا للزوج المطلِّق أن يمنعوهنَّ من ذلك إذا تراضى الطرفان على عقد جديد وإرادة حياة كريمة تؤدى إلى حسن العشرة بينهما، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله وباليوم الآخر، ذلكم أدعى إلى تنمية العلاقات الشريفة في مجتمعكم وأطهر في نفوسكم من الأدناس والعلاقات المريبة، والله يعلم من مصالح البشر وأسرار نفوسهم ما يجهلون الوصول إليه."[٣]

---

(١) مفاتيح الغيب ٣١/ ١٣٦، وفتح القدير ٥/ ٥١٦.

(٢) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص ١٦٧، ١٦٨.

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٥٤.

وجاءت المفردة القرآنية ﴿أَزْكَىٰ﴾ في هذه الآية على صيغة أفعل التفضيل، من الزكاء وهو في أصله اللغوي يدل على النماء والزيادة، لكن اختلف في معناها هنا إلى خمسة أقوال: الأول: بمعنى أفضل، يقول ابن الجوزي: "قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ يعني ردّ النساء إلى أزواجهن، أفضل من التّفرقة بينهم"(١). الثاني: بمعنى خير، يقول السمرقندي: "﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ ، يعني خير لكم."(٢). الثالث: بمعنى أطيب، يقول ابن عطية: "وأَزْكى وأَطْهَرُ معناه أطيب للنفس وأطهر للعرض والدين"(٣). الرابع: بمعنى أنفع، يقول البيضاوي: "ذلكم أي العمل بمقتضى ما ذكر. ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أنفع."(٤). الخامس: بمعنى أنمى، يقول النيسابوري:"﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أي أنمى وهو إشارة إلى استحقاق الثواب الدائم"(٥)

وهذه الأقوال جميعها قريبة المعنى في دلالتها على المفردة ﴿أَزْكَىٰ﴾ لكن سياق الآية هنا يرجح القول الخامس وهو معنى النماء؛ حيث ورد هذا اللفظ في سياق مخاطبة أولياء النساء بألا يمنعوهن من مراجعة أزواجهن لهن إذا تراضوا فيما بينهم، فبين الله عز وجل أن ردّ النساء إلى أزواجهن وعدم منع الولايا لهن أن يتزوجن أزواجهن "مزيد في نماء متبعيه وصلاح حالهم ما بعده مزيد يفضله، وأنه أطهر لأعراضهم وأنسابهم، وأحفظ لشرفهم وأحسابهم; لأن عضل النساء والتضييق عليهن مدعاة لفسوقهن ومفسدة لأخلاقهن، وسبب لفساد نظام البيوت وشقاء الذراري"(٦) ، ولما كان في ذلك من مزيد فضل ونماء جاء التعبير بصيغة التفضيل﴿أَزْكَىٰ﴾"الدال على النماء والوفر، وذلك أنهم كانوا يعضلونهن حمية وحفاظًا على المروءة من لحاق ما فيه شائبة الحطيطة، فأعلمهم الله أن عدم العضل أوفر للعرض

---

(١) زاد المسير ١/ ٢٠٦.
(٢) بحر العلوم ١/ ١٥٢.
(٣) المحرر الوجيز ١/ ٣١٠.
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ١٤٤.
(٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/ ٦٣٨.
(٦) تفسير المنار ٢/ ٣٢١.

لأن فيه سعيًا إلى استبقاء الود بين العائلات التي تقاربت بالصهر والنسب."[١]، والمقصود بالنماء هنا ما يكون في الأعمال فمعنى "﴿أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾ أي في أعمالكم، ونموها، وكثرتها؛ لأنكم إذا اتعظتم بذلك أطعتم الله، ورسوله، فزادت الأعمال، وزاد الإيمان؛ لأن الإيمان يزداد بامتثال الأمر، واجتناب النهي لله عزّ وجلّ."[٢]

وقد أُخِذ هذا المعنى من الأصل اللغوي الذي دل عليه تركيب (ز ك ا)، يقول ابن فارس: " الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة."[٣] فسياق الآية دلّ على أن ﴿أَزۡكَىٰ﴾ هنا جاءت بمعنى النماء والزيادة في الخير "فإن عدم منع النساء من الزواج أزكى وأطهر للأعراض والبيوت وأنمى للشرف والكمال"[٤]، وذلك "أن المرأة إذا عوملت معاملة كريمة، ولم تظلم في رغباتها المشروعة، التزمت في سلوكها العفاف والخلق الشريف، أما إذا شعرت بالظلم والامتهان فإن هذا الشعور قد يدفعها إلى ارتكاب ما نهى الله عنه."[٥]

٢- قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة:١٠٣]

هذه الآية خطاب للنبي -ﷺ- في أخذ جزء من أموال التائبين الذين تخلفوا عن الغزو تطهيرًا لهم وتنمية لأموالهم، فقال -تعالى-: خذ أيها الرسول من أموال هؤلاء التائبين صدقات تطهرهم بها من الذنوب والشح، وترفع درجاتهم عند الله، وادع لهم بالخير والهداية فإن دعاءك تسكن به نفوسهم، وتطمئن به قلوبهم، والله سميع للدعاء، عليم بالمخلصين في توبتهم."[٦] واختلف العلماء في المراد من المفردة القرآنية ﴿تُزَكِّيهِم﴾ إلى أربعة أقوال:

---

(١) التحرير والتنوير ٢/ ٤٢٨.

(٢) تفسير الفاتحة والبقرة للعثيمين ٣/ ١٣٧.

(٣) مقاييس اللغة (ز ك ا) ٣/ ١٧.

(٤) التفسير الواضح ١/ ١٤٩.

(٥) التفسير الوسيط للطنطاوي ١/ ٥٢٤.

(٦) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٢٧٨.

الأول: بمعنى النماء والزيادة، يقول الطبري: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ وتنمّيهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها، إلى منازل أهل الإخلاص"[١]، ويقول السعدي: "وَتُزَكِّيهِمْ" أي: تنميهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمي أموالهم."[٢]

الثاني: بمعنى طاعة الله والإخلاص، فقد نقل أبو حاتم الرازي عن ابن عباس، قوله: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ يعني بالزكاة: طاعة الله والإخلاص."[٣] .

الثالث: بمعنى الصلاح، يقول السمرقندي: ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ يعني: تصلح بها أعمالهم."[٤] .

الرابع: التطهير، يقول الثعلبي: "﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ أي تطهرهم."[٥] ، ويقول الزمخشري: "والتزكية: مبالغة في التطهير وزيادة فيه. "[٦]

من خلال هذه الأقوال السابقة يتبين أن المفردة ﴿تُزَكِّيهِم﴾ قد يصلح في الدلالة عليها كل هذه المعاني، لكن سياق الكلام هنا يرجح المعنى الأول وهو النماء والزيادة، حيث إن سياق الآية يتناول الحديث عن أخذ النبي-ﷺ- جزءًا من أموال هؤلاء التائبين كصدقات تطهرهم بها من الذنوب والشح، وتزكيهم بها أي تنميهم وترفع درجاتهم عند الله، "فقوله: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات. وقوله: ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات. ولا جرم أن التخلية مقدمة على التحلية. فالمعنى أن هذه الصدقة كفارة لذنوبهم ومجلبة للثواب العظيم."[٧]، يضاف لذلك أن عطف التزكية على

---

(١) جامع البيان ١٤/ ٤٥٤.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٥٠.
(٣) تفسير القرآن العظيم٦/ ١٨٧٦.
(٤) بحر العلوم ٢/ ٨٦.
(٥) الكشف والبيان ٥/ ٩٠.
(٦) الكشاف ٢/ ٣٠٧.
(٧) التحرير والتنوير ١١/ ٢٣.

التطهير يفيد التغاير، فجَعْل التزكية هنا بمعنى التطهير فيه نظر؛ لحصول المغايرة بين المتعاطفين فكان معنى التزكية هنا غير التطهير، يقول الرازي: "واعلم أن التزكية لما كانت معطوفة على التطهير وجب حصول المغايرة، فقيل: التزكية مبالغة في التطهير، وقيل: التزكية بمعنى الإنماء، والمعنى: أنه تعالى يجعل النقصان الحاصل بسبب إخراج قدر الزكاة سببًا للإنماء."(١)، ويقول النيسابوري: قال العلماء: المعطوفان متغايران لا محالة فالتزكية بمعنى الإنماء كأنه تعالى جعل النقصان سببًا للإنماء والزيادة والبركة."(٢)

وبناء عليه فالمراد من لفظة ﴿تُـزَكِّيهِم﴾ هنا النماء والزيادة، وهو الأصل الذي تدل عليه لفظة الزكاة، يقول السعدي: " الزكاة هي النماء والزيادة، فهي تُنمِّي المؤتي للزكاة، تُنمِّي أخلاقه، وتحل البركة في أعماله، ويزداد بالزكاة ترقيا في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم؛ وتُنمِّي المال بزوال ما به ضرره وحصول ما فيه خيره، وتحل فيه البركة من الله."(٣)

٣- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُؤۡتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل:١٨]

هذه الآية وسابقتها مدح لمن أنفق ماله ابتغاء وجه الله تعالى فقال: إن هذه النار "سيُزحزَح عنها شديد التقوى، الذي يبذل ماله ابتغاء المزيد من الخير.(٤)

و﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ مضارع تزكَّى "من الزكاء أي يطلب أن يكون عند الله زاكيًا لا يريد به رياء ولا سمعة"(٥) واختلف العلماء في المراد بها في هذه الآية إلى ثلاثة أقوال:

الأول: التطهر، يقول الطبري: "وقوله: ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ يعني: يتطهر من ذنوبه بإعطائه المال."(٦)

الثاني: التقرب إلى الله، يقول ابن أبي زمنين: "﴿ٱلَّذِى يُؤۡتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى

---

(١) مفاتيح الغيب ١٦/ ١٣٦.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣/ ٥٢٦.

(٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ١/ ٧٧.

(٤) التفسير الميسر ١/ ٥٩٦.

(٥) مدارك التنزيل ٣/ ٦٥١.

(٦) جامع البيان ٢٤/ ٤٧٨.

رَبِّهِ"[١]

الثالث: النماء، يقول ابن عاشور: "والتزكي: تكلف الزكاء، وهو النماء من الخير."[٢].

هذه ثلاثة أقوال للمعنى المراد من المفردة ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾، وكلها متقاربة في الدلالة على معناها، لكن أقرب هذه الأقوال إلى سياق الآية هو القول الثالث وهو النماء في الخير؛ لأن لفظ ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ هنا ورد في سياق الآيات التي نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث كان "يبتاع الضعفة فيعتقهم، فقال له أبوه: يا بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك، قال: إنما أريد ما أريد فنزلت فيه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ "[٣] أي: أن هذا الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى لا يؤتيه مكافأة على هدية أو نعمة سالفة[٤]، لذلك "لما أعتق بلالًا قال المشركون: ما فعل ذلك أبو بكر إلا ليد كانت لبلال عنده، فأنزل الله تكذيبهم بقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾"[٥] ولما كان سياق الآية التنبيه على أهمية إعطاء المال وردت لفظة ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ في محل نصب على الحالية "للتنبيه على أنه يؤتي ماله لقصد النفع والزيادة من الثواب تعريضًا بالمشركين الذي يؤتون المال للفخر والرياء والمفاسد والفجور."[٦] يقوي ذلك مجيء لفظة ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ على وزن يتفعل من الزكاء، وهو تكلف الزيادة والنماء في الخير بكثرة إنفاق المال.

رابعاً: بمعنى النماء والطهارة.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩]

الآيات السابقة توضح أن الله عز وجل لما خلق النفس وبيَّن لها الفجور والتقوى امتدح

---

(١) تفسير القرآن العزيز٥/ ١٤٠.
(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٩١.
(٣) الكشف والبيان ١٠/ ٢١٩.
(٤) مفاتيح الغيب ٣١/ ١٨٨.
(٥) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٩١.
(٦) التحرير والتنوير ٣٠/ ٣٩١.

من زكاها فقال: "قد فاز من طَهَّرَ نفسه بالطاعات وعمل الخير."[١]

ولم تتفق كلمة المفسرين حول المراد من المفردة ﴿زَكَّىٰهَا﴾ في هذه الآية فذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بها طهّرها، يقول ابن جزي: "قد أفلح من زكى نفسه أي: طهّرها من الذنوب والعيوب"[٢]، ويقول الإيجي:"﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ من طهرها الله من الأخلاق الدنية"[٣]، وذهب بعضهم إلى أن المراد بها أصلحها، فقد روى ابن جرير الطبري عن مجاهد وسعيد بن جُبير وعكرِمة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ قالوا: من أصلحها."[٤]، ويقول السمرقندي: "﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ يعني: أصلحها الله، وعرَّفها"[٥] ، وذهب بعض آخر إلى ان المراد بها النماء والإعلاء، يقول الزمخشري: " والتزكية: الإنماء والإعلاء بالتقوى."[٦]، ويقول ابن قتيبة: "﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ يريد أفلح من زكى نفسه، أي: أنماها وأعلاها بالطاعة والبرّ والصّدقة واصطناع المعروف."[٧]

وجمع بعض المفسرين بين معنيي الصلاح والطهارة، يقول الثعلبي: "﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ أي أفلحت نفس زكّاها الله أي أصلحها وطهّرها من الذنوب ووفّقها للتقوى"[٨]، وفي زاد المسير:" ومعنى ﴿زَكَّىٰهَا﴾: أصلحها وطهّرها من الذنوب."[٩]

في حين جمع بعضهم بين معنيي الطهارة والنماء، يقول ابن عطية: "و﴿زَكَّىٰهَا﴾ معناه:

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٩١٠.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٤٨٧.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ٤/ ٤٩٦.

(٤) جامع البيان ٢٤/ ٤٥٦.

(٥) بحر العلوم ٣/ ٥٨٦.

(٦) الكشاف ٤/ ٧٦٠.

(٧) تأويل مشكل القرآن ص ٢٠٥، وينظر: فتح القدير ٥/٥٤٧.

(٨) الكشف والبيان ١٠/ ٢١٣.

(٩) زاد المسير ٤/ ٤٥١.

طهرها ونماها بالخيرات"[١]، وفي البحر: "وزكاؤها: طهورها ونماؤها بالعمل الصالح."[٢] فهذه الآراء جميعها قريبة المعنى في الدلالة على المفردة ﴿زَكَّىٰهَا﴾ وكلها صالحة في أن تحمل معنى هذه اللفظة، لكن يأتي دور السياق هنا في تحديد وترجيح المعنى الأقرب والمناسب لسياق الآية وهو معنى النماء والطهارة، حيث إن سياق الآيات يتحدث عن خَلْق الله للنفس سوية مستقيمة على الفطرة القويمة، وعرَّفها طريقَ الفجور والتقوى أو الطاعة والمعصية، ثم مدح من زكاها فقال: أفلح وفاز ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾ "أي: نمَّاها، وطهَّرها حتى بلغت غاية ما هي مستعدة له من الكمال العقلي والعملي حتى تثمر بذلك الثمر الطيب لها ولمن حولها."[٣]، فتنمية النفس من المعاصي سبب في طهارتها، يقول الوقشي:" {﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾أي: طهرها بالعمل الصالح وذلك راجع إلى النمو؛ لأن الزكي الطاهر يُجَلُّ ويُعظَّم في العيون."[٤]، كذلك جاءت التدسية ضد التزكية حيث جعل الله في مقابل هذه الآية قوله ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي: أخفاها وحقرها وصغر قدرها بالمعاصي والبخل بما يجب[٥]، فجعل طهارة النفس وتنميتها بالطاعة وعلوها ضد إخفائها وتحقيرها بالمعصية "فالطاعة تزكي النفس وتطهرها فترتفع، والمعاصي تدسي النفس، وتقمعها، فتنخفض، وتصير كالذي يدس في التراب."[٦] فلفظة﴿زَكَّىٰهَا﴾ هنا قُصد بها النماء والطهارة وهو ما دل عليه أصلها اللغوي، يقول ابن فارس: "والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة."[٧]، وبناء عليه يكون معنى﴿زَكَّىٰهَا﴾ "طهَّرها من الذنوب ونمَّاها وأصلحها،

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨.

(٢) البحر المحيط ١٠/ ٤٨٩.

(٣) حدائق الروح والريحان ٣٢/ ٤٣.

(٤) التعليق على الموطأ في تفسير لغاته وغوامض إعرابه ومعانيه ١/ ٢٧١.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨.

(٦) روائع التفسير لابن رجب الحنبلي ٢/ ٥٩٠.

(٧) مقاييس اللغة (ز ك ا) ٣/ ١٧، ١٨.

وصفاها تصفية عظيمة مما يسره الله تعالى له من الأعمال الصالحة"[١]

خامساً: بمعنى الثناء والمدح.

١- قال تعالى﴿ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٧٤]

هذه الآية خطابُ ذمٍ لأحبار اليهود الذين كتموا أمر محمد - ﷺ- وصفته ونبوته، وهم يجدونها مكتوبة عندهم في التوراة، فقال تعالى: "إن الذين يُخْفون ما أنزل الله في كتبه من صفة محمد -ﷺ- وغير ذلك من الحق، ويحرصون على أخذ عوض قليل من عرض الحياة الدنيا مقابل هذا الإخفاء، هؤلاء ما يأكلون في مقابلة كتمان الحق إلا نار جهنم تتأجج في بطونهم، ولا يكلمهم الله يوم القيامة لغضبه وسخطه عليهم، ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم، ولهم عذاب موجع."[٢]

والمفردة ﴿يُزَكِّيهِمۡ﴾ اختلف المفسرون في المراد بها هنا إلى خمسة أقوال جمعها أبو حيان في تفسيره فقال: "﴿لا يُزَكِّيهِمۡ﴾ لا يقبل أعمالهم كما يقبل أعمال الأزكياء، أو لا ينزلهم منزلة الأزكياء. وقيل: المعنى لا يصلح أعمالهم الخبيثة. وقيل: المعنى لا يثني عليهم من قولهم: زكَّى فلانا، إذا أثنى عليه، قاله الزجاج. وقيل: لا يطهرهم من دنس كفرهم، وهو معنى قول بعضهم: لا يطهرهم من موجبات العذاب، قاله ابن جرير. وقيل: المعنى لا يسميهم أزكياء."[٣]

وهذه المعاني كلها تصلح للدلالة على المفردة ﴿يُزَكِّيهِمۡ﴾ فهي متقاربة المعنى، إلا أن السياق هنا رجح معنى الثناء والمدح فمعنى﴿لا يُزَكِّيهِمۡ﴾لا يمدحهم ولا يثني عليهم خيرًا،

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ٤/ ٥٤٢.

(٢) التفسير الميسر ١/ ٢٦.

(٣) البحر المحيط ٢/ ١٢٢.

حيث إن سياق الآية سياق ذم لأحبار اليهود الذين كتموا نبوة محمد -ﷺ- وأخذوا على ذلك ثمنًا قليلًا، فناسب ذلك أن يكون الجزاء من جنس العمل فسخط الله عليهم وأعرض عنهم، ولم يزكهم أي: "لا يكلمهم كلام تشريف ومدح وثناء، بل كلام إهانة وتوبيخ وتجريح.[١]، وإنما لم يزكهم لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية بما أوقعوا فيه الناس من التعب، بكتمهم عنهم ما يقيمهم على الملة الواضحة البيضاء، والصراط السوي[٢]، فنبذوا كتاب الله، وأعرضوا عنه، واختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة، فهؤلاء لا يصلح لهم إلا النار."[٣]، فجاءت التزكية هنا "بمعنى الثناء،

ومنه زكَّى الرجل صاحبه إذا وصفه بالأوصاف المحمودة وأثنى عليه، فيكون معنى﴿لَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ لا يثنى عليهم- سبحانه- ومن لا يثنى عليه الله فهو معذَّب."[٤]

٢- قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آل عمران:٧٧]

لمَّا بين الله سبحانه وتعالى خيانة أهل الكتاب في الدين وقبائحهم وكيدهم للمسلمين أردف ذلك بذكر أوصاف طائفة أخرى منهم تخون الأمانات، وتستحل أكل أموال الناس بالباطل فقال: " إن الذين يتركون عهد الله الذى عاهدهم عليه من أداء الحقوق والقيام بالتكليفات، ويتركون أيمانهم التي أقسموا بها على الوفاء - بثمن قليل من أعراض الدنيا - هؤلاء لا نصيب لهم في متاع الآخرة، ويُعرض عنهم ربهم، ولا ينظر إليهم يوم القيامة نظرة رحمة، ولا يغفر لهم آثامهم، ولهم عذاب مؤلم مستمر الإيلام."[٥]

واختلف المفسرون في المقصود بالمفردة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ في هذه الآية إلى ثلاثة أقوال:

---

(١) التفسير المأمون ١/ ٤٨٣.

(٢) جواهر الأفكار ومعادن الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار ص ٤٦٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٢.

(٤) التفسير الوسيط لطنطاوي ١/ ٣٥٦.

(٥) التفسير الميسر ١/ ٥٩.

الأول: أن لا يطهرهم من دنس ذنوبهم بالمغفرة بل يعاقبهم عليها. **والثاني**: لا يزكيهم أي لا يثني عليهم كما يثني على أوليائه الأزكياء والتزكية من المزكي للشاهد مدح منه له. **والثالث**: لا ينمي أعمالهم، فالتزكية تنمية لهم."[1]

وهذه الأقوال قد تصلح للدلالة على المفردة ﴿يُزَكِّيهِمۡ﴾ في هذه الآية، لكن سياق الآية هنا يرجح ويقوي المعنى الثاني وهو الثناء عليهم والمدح لهم، حيث إن نظم الآية يتحدث عن اليهود الذين استبدلوا ما عاهدوا الله عليه – من اتباع محمد -ﷺ- وذكر صفته للناس وبيان أمره، والأيمان التي أخذها الله عليهم- بالأثمان القليلة الزهيدة، فكان جزاؤهم أنهم "لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها وجميع منافعها، وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يعني كلاما يسرهم به أو ينفعهم...، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أي لا يرحمهم ولا يحسن إليهم، وَلا يُزَكِّيهِمْ أي ولا يثني عليهم بجميل وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ يعني في الآخرة."[2]، وهذه الكلمات يراد بها بيان شدة سخط الله عليهم، لأن من منع غيره كلامه في الدنيا فإنما ذلك لسخطه عليه، وقد يأمره بحجبه عنه، ويقول لا أكلمك ولا أرى وجهك، وإذا جرى ذكره لم يذكره بالجميل"[3].

فعدم تزكيتهم هنا كناية عن عدم رضاه سبحانه، لأن من يرضى عن شخص يزكيه ويطريه ويثني عليه.[4]، يقول الرازي: "واعلم أن تزكية الله عباده قد تكون على ألسنة الملائكة كما قال: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ * سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣] وقال:﴿ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٣] وقال: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾[فصلت:٣١] وقد تكون بغير واسطة، أما في الدنيا فكقوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾[التوبة:١١٢] وأما في الآخرة فكقوله ﴿سَلَٰمٌ

---

(١) المحرر الوجيز ١/ ٤٦٠، ومفاتيح الغيب ٨/ ٢٦٧، والبحر المحيط ٣/ ٢٢٦.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل١/ ٢٦٢.

(٣) تفسير المراغي ٣/ ١٩١.

(٤) زهرة التفاسير ٣/ ١٢٨٥.

قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس:٥٨]."[١]

٣- قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩]

هذا خطاب موجه للنبي وأصحابه يخبرهم بحال اليهود وثنائهم على أنفسهم فقال: "ألم تعلم -أيها الرسول- أمر أولئك الذين يُثنون على أنفسهم وأعمالهم، ويصفونها بالطهر والبعد عن السوء؟ بل الله تعالى وحده هو الذي يثني على مَن يشاء مِن عباده، لعلمه بحقيقة أعمالهم، ولا يُنقَصون من أعمالهم شيئًا مقدار الخيط الذي يكون في شق نَواة التمرة"[٢]

واختلف المفسرون في المراد بالتزكية في هذه الآية إلى ثلاثة أقوال:

الأول: ذهب إلى أن المقصود بها: التبرئة من الذنوب والتطهر منها، يقول الطبري: "قوله جل ثناؤه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾ يعني بذلك: الذين يزكون أنفسهم من اليهود فيبرّئونها من الذنوب ويطهرونها."[٣]، ويقول السمرقندي: "﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾ يبرئون أنفسهم من الذنوب ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ أي يصلح ويبرئ من يشاء من الذنوب."[٤] ، أو يطهر ويبرئ من الذنوب من يشاء[٥]

الثاني: ذهب إلى أن المقصود بها الزكاء والنماء، يقول ابن الجوزي: "ومعنى ﴿يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ﴾ يزعمون أنهم أزكياء، يقال: زكى الشيء: إذا نما في الصلاح ... وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾أي: يجعل من يشاء زاكياً."[٦]

الثالث: المدح والثناء، يقول الرازي: "التزكية في هذا الموضع عبارة عن مدح الإنسان

---

(١) مفاتيح الغيب ٨/ ٢٦٧.

(٢) التفسير الميسر ١/ ٨٦.

(٣) جامع البيان ٨/ ٤٥٢.

(٤) بحر العلوم ١/ ٣٠٨، ٣٠٩.

(٥) معالم التنزيل ١/ ٦٤٤.

(٦) التفسير الوسيط للواحدي ٢/ ٦٥، و زاد المسير ١/ ٤١٨.

نفسه ومنه تزكية المعدل للشاهد، قال تعالى:﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢]"[١]، ويقول البيضاوي:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ ﴾ يعني من زكى نفسه وأثنى عليها."[٢]

وبالنظر في هذه الأقوال الثلاثة نجد أنها جميعًا تصدق في دلالتها على معنى التزكية في هذه الآية، لكن غالبًا ما يكون للسياق دور في ترجيح أحد هذه المعاني، وكان ترجيح السياق هنا للمعنى الثالث وهو المدح والثناء، حيث إن سياق الآية يتناول الحديث عن اليهود ومدحهم لأنفسهم وأعمالهم وثنائهم عليها فقال تعالى :﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ ﴾ "والمراد بهذا التعبير هنا: أنهم يصفون أنفسهم بالأفعال الحسنة، ويمدحونها مدحًا كثيرًا، مع أنهم لا يستحقون إلا الذم بسبب سوء أقوالهم وأفعالهم"[٣] ، "ويدخل فيها كل من زكَّى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله."[٤] ، وهذا النوع من التزكية يندرج تحت التزكية بالقول، "وذلك بالإخبار عنه بذلك، ومدحه به، ومحظور على الإنسان أن يفعل ذلك بنفسه، من غير داعٍ إلى ذلك، ولمّا قالت اليهود والنصارى ﴿ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ ﴾[المائدة:١٨]، ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ ﴾[البقرة:١١١] ذمّهم الله تعالى بذلك، وذمّ من يفعل فعلهم، وحظر أن يمدح الإنسان نفسه، بل أن يزكي غيره إلا على وجه مخصوص، فالتزكية في الحقيقة هي الإخبار عما ينطوي عليه الإنسان، ولا يعرف ذلك إلا الله تعالى. ولهذا قال: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ "[٥]. ومما يؤيد هذا المعنى ترجيح كثير من المفسرين له، يقول الطبري: " وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: معنى "تزكية القوم"، وَصفهم إياها بأنها لا ذنوب لها

(١) مفاتيح الغيب ١٠/ ١٠٠.
(٢) أنوار التنزيل ٢/ ٧٨.
(٣) التفسير الوسيط للطنطاوي ٣/ ١٧٩.
(٤) الكشاف ١/ ٥٢٠.
(٥) تفسير الراغب الأصفهاني ٣/ ١٢٧٠، ١٢٧١.

ولا خطايا، وأنهم لله أبناء وأحبّاء، كما أخبر الله عنهم أنهم كانوا يقولونه. لأن ذلك هو أظهر معانيه، لإخبار الله عنهم أنهم إنما كانوا يزكون أنفسهم دون غيرها."[١]، ويقول الخازن: " والتزكية هنا عبارة عن مدح الإنسان نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا"[٢]

ويؤيده أيضًا بأن ردَّ الله عليهم معتقدهم بقوله: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ ففيه "إبطال لمعتقدهم بإثبات ضده، وهو أن التزكية شهادة من الله ولا ينفع أحدًا أن يزكى نفسه"[٣]، وإعلام منه على أن تزكيته تعالى هي المعتد بها دون تزكية غيره، فإنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبيح."[٤]، وبالجملة فالقوم كانوا قد بالغوا في تزكية أنفسهم فذكر تعالى في هذه الآية أنه لا عبرة بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له.[٥]

٤- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[النجم:٣٢]

يخبر الله عز وجل في الآية السابقة أنه يجزي المسيء بإساءته والمحسن بإحسانه ثم وصف المحسنين بأنهم: "الذين يجتنبون ما يكبر عقابه من الذنوب وما يعظم قبحه منها، لكن الصغائر من الذنوب يعفو الله عنها، إن ربك عظيم المغفرة، هو أعلم بأحوالكم، إذ خلقكم من الأرض، وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم في أطواركم المختلفة، فلا تصفوا أنفسكم بالتزكي مدحًا وتفاخرًا، هو أعلم بمن اتقى، فزكت نفسه حقيقة بتقواه."[٦]

---

(١) جامع البيان ٨/ ٤٥٥.

(٢) لباب التأويل ١/ ٣٨٨، وينظر: مفاتيح الغيب ١٠/ ١٠٠.

(٣) التفسير الوسيط للطنطاوي ٣/ ١٧٩.

(٤) الكشاف ١/ ٥٢٠، وأنوار التنزيل ٢/ ٧٨.

(٥) مفاتيح الغيب ١٠/ ١٠٠.

(٦) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٧٨٣.

وأجمع المفسرون على أن المراد من التزكية هنا: المدح والثناء للنفس ببراءتها من العيوب والرياء وطهارتها من الذنوب والمعاصي، فسياق الآية يبين أن الله هو القادر على عقاب المسيء ومجازاة المحسن، وأنه سبحانه واسع المغفرة كثير التوبة على عباده والعالم بأحوالهم حين صوّرهم في الأرحام، على أطوار مختلفة، وصور شتى، فإذا كان هذا شأنكم "فلا تثنوا على أنفسكم بالطهارة من المعاصي، أو بزكاة العمل وزيادة الخير، بل اشكروا الله على فضله ومغفرته، فهو العليم بمن اتقى المعاصي، ومن ولغ فيها ودنّس نفسه باجتراحها."[1] يقول ابن جرير الطبري: "وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زكية بريئة من الذنوب والمعاصي"[2]، ويقول القرطبي: "﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ أي لا تمدحوها ولا تثنوا عليها، فإنه أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع."[3]، ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه عقلًا وشرعًا، ولهذا قيل لحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقًّا؟ فقال: مدح الرّجل نفسه."[4]

سادساً: بمعنى الحلال الطيب.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ [الكهف:١٩]

هذه الآية تتعلق بقصة أصحاب الكهف وخروجهم من بلدتهم فارين بدينهم حتى التجأوا إلى الكهف وناموا فيه فضرب الله على آذانهم مدة من الزمن ثم بعثهم فقال سبحانه: " وكما أَنَمْنَاهم أيقظناهم ليسأل بعضهم بعضًا عن مدة مكثهم نائمين، فقال واحد منهم: ما الزمن الذى مكثتموه في نومكم؟ فقالوا: مكثنا يومًا أو بعض يوم، ولما لم يكونوا مُسْتَيقنين من

(١) تفسير المراغي ٢٧/ ٦٠.
(٢) جامع البيان ٢٢/ ٥٤٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ١١٠.
(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٣٨١.

ذلك قالوا: اتركوا الأمر لله، فهو الأعلم به، وليذهب واحد منكم بهذه العملة الفضية إلى المدينة وليتخير أطيب الأطعمة فيأتيكم بطعام منه، وليكن حسن التفاهم، ولا يظهرن أمركم لأحد من الناس."[١]

والمفردة القرآنية ﴿أَزۡكَىٰ﴾ هنا اسم تفضيل من الزكاء وهو في الأصل يراد به النماء والزيادة، لكن معناها في هذه الآية اختُلف فيه إلى ستة أقوال:

يقول ابن الجوزي: "وللمفسرين في معناه ستة أقوال: أحدها: أَحَلُّ ذبيحة، قاله ابن عباس، وعطاء، وذلك أن عامة أهل بلدهم كانوا كفاراً، فكانوا يذبحون للطواغيت، وكان فيهم قوم يُخفون إيمانهم. والثاني: أَحَلُّ طعاماً، قاله سعيد بن جبير قال الضّحّاك: وكان أكثر أموالهم غصوباً. والثالث: أكثر، قاله عكرمة. والرابع: خير، أي: أجود، قاله قتادة. والخامس: أطيب، قاله ابن السائب، ومقاتل. والسادس: أرخص، قاله يمان بن رئاب."[٢]

فهذه أقوال ستة وردت في معنى المفردة ﴿أَزۡكَىٰ﴾ في هذه الآية، لكن ما يرجحه السياق هنا هو معنى الحلال أي أحلّ طعامًا؛ وذلك لأن المفردة ﴿أَزۡكَىٰ﴾ وردت في سياق قصة أصحاب الكهف وهم يتحادثون فيما بينهم عن مدة مكوثهم نائمين في الكهف، ثم أوكلوا أحدهم ليأتي لهم بالطعام ويعرف لهم أخبار المدينة التي فروا منها بدينهم خوفًا من بطش ملكها، فكان لا بدَّ لهم أن ينبهوا صاحبهم بأن يتخير لهم الحلال الطيب من الطعام فكان التعبير بقولهم: "﴿أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾ إشارة إلى حلال لا يستوخم عقباه."[٣] واشترطوا الحلال هنا "لأن بعض أهل تلك المدينة يذبحون للأصنام وباسم الأوثان التي كانوا يعبدونها، فأمروا بأن يأتيهم بحلال يحل لهم أكله والتناول منه."[٤] أو أنهم احترزوا من المغصوب؛ لأن ملكهم كان ظالمًا فأكثر أموالهم كانت مغصوبة، فقولهم "﴿أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾، أي: أيها أبعد

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٤٢٩.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ٣/ ٧٣.

(٣) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٩/ ٤٣٢.

(٤) تأويلات أهل السنة ٧/ ١٥٢.

عن الغصب وكل سبب حرام"[١]. لذلك عبروا باسم التفضيل ﴿أَزْكَىٰ﴾ من الزكاة وأصلها النمو والزيادة وهي تكون معنوية أخروية، وحسية دنيوية وأريد بها الأولى لما في توخي الحلال من الثواب وحسن العاقبة...وحسن الظن بالفتية يقتضي أنهم تحروا الحلال"[٢]، ومجيء قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ بعدها في سياقها يدل على هذا المعنى، أي أن "الفتية إن لم يكن تحروا الحلال سابقًا فليكن مرادهم بالرزق هنا الحلال"[٣] سواء كان كثيرًا أو قليلًا."[٤] غاليًا أو رخيصًا.

وترجيح السياق لمعنى الحلال هنا لدلالة القرآن عليه في آيات أخرى "لأن أكل الحلال والعمل الصالح أمر الله به المؤمنين كما أمر المرسلين، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾[المؤمنون:٥١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٧٢]....فاللائق بحال هؤلاء الفتية الأخيار المتقين أن يكون مطلبهم في مأكلهم الحلّية والطهارة، لا الكثرة."[٥]، كما دلّ قوله تعالى: ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ على مشروعية استجادة الطعام واستطابته بأقصى ما يمكن، لصيغة التفضيل."[٦]

سابعاً: بمعنى أفضل.

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور:٢٨]

والمعنى: "فإن لم تجدوا في هذه البيوت أحدًا يأذن لكم، فلا تدخلوا حتى يجئ من يسمح لكم به. وإن لم يُسمح لكم وطُلب منكم الرجوع فارجعوا، ولا تلِحُّوا في طلب السماح بالدخول،

---

(١) مفاتيح الغيب ٢١/ ٤٤٦، وفتح الرحمن في تفسير القرآن ٤/ ١٦٢.

(٢) روح المعاني ٨/ ٢١٩.

(٣) روح المعاني ٨/ ٢٢٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥/ ١٣٢.

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٦) محاسن التأويل ٧/ ١٥.

فإن الرجوع أكرم بكم وأطهر لنفوسكم، والله مُطَّلِع على كل أحوالكم ومجازيكم عليها فلا تخالفوا إرشاداته."[١]

وردت المفردة ﴿أَزْكَىٰ﴾ في هذه الآية على صورة أفعل التفضيل الذي يدل على مفاضلته عن غيره، أي أن الرجوع عند عدم الإذن بالدخول أفضل من الإلحاح في الدخول، لذلك اختصر البيان القرآني كلّ ما يمكن أن يحدث في عدم الاستئذان من قبائح ومنكرات بكلمة ﴿أَزْكَىٰ﴾، وقد اختلف المفسرون في معنى هذه اللفظة هنا إلى أربعة أقوال:

الأول: بمعنى أطهر، يقول الطبري: ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ يقول: رجوعكم عنها إذا قيل لكم ارجعوا، ولم يؤذن لكم بالدخول فيها، أطهر لكم عند الله."[٢]

الثاني: بمعنى خير "فعن سعيد بن جبير في قول الله: ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ يعنى الرجوع خير لكم من القيام والقعود على أبوابهم."[٣]

الثالث: بمعنى أصلح، يقول السمرقندي: "﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾، يعني: الرجوع، أصلح لكم من القيام والقعود على أبواب الناس."[٤]

الرابع: بمعنى أفضل، يقول ابن عاشور: ومعنى ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أنه أفضل وخير لكم من أن يأذنوا على كراهية."[٥]

وهذه الأقوال جميعها تصلح للدلالة على معنى ﴿أَزْكَىٰ﴾ لقربها في المعنى، لكن سياق الآية هنا يرجح القول الرابع وهو كون أزكى بمعنى أفضل؛ لأن سياق الآية ورد في تشريع الاستئذان، وحكمه وهيئته، وكيفية التعامل عند عدم الإذن بالدخول، حيث بدأت الآية بنداء للمؤمنين بالإذن قبل الدخول وهذا فرق بينهم وبين أهل الجاهلية حيث "كان الرجل منهم إذا

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٥٢١.

(٢) جامع البيان ١٩/ ١٥٠.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٦٨.

(٤) بحر العلوم ٢/ ٥٠٧.

(٥) التحرير والتنوير ١٨/ ٢٠٠.

دخل بيتًا غير بيته يقول: حييتم صباحًا، وحييتم مساءً، ثم يدخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد، فصدّ الله عن ذلك، وعلَّم الأحسن والأجمل."[١] وهو أدب الاستئذان، يقول ابن كثير: "هذه آداب شرعية، أدب الله بها عباده المؤمنين وذلك في الاستئذان أمرهم أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي يستأذنوا قبل الدخول، ويسلموا بعده، وينبغي أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا انصرف"[٢] فإن الرجوع أفضل من الإلحاح، وتكرار الاستئذان، والقعود على الباب لما في ذلك من سلامة الصدر، والبعد من الريبة، والفرار من الدناءة"[٣]؛ وذلك "لأن رب الدار قد يستوحش ويتأذى بوقوف غيره على بابه بعد منع الاستئذان."[٤]

ولما كان سياق الآية يتحدث على عدم دخول البيوت بغير إذن جاء "بقوله: ﴿حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ﴾ لتأكيد النهي بقوله: ﴿فَلَا تَدۡخُلُوهَا﴾أي حتى يأتي أهلها فيأذنوا لكم. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ تذييل لهذه الوصايا بتذكيرهم بأن الله عليم بأعمالهم ليزدجر أهل الإلحاح عن إلحاحهم بالتثقيل، وليزدجر أهل الحيل أو التطلع من الشقوق ونحوها. وهذا تعريض بالوعيد لأن في ذلك عصيانًا لما أمر الله به."[٥]، وبناء على ما سبق فالمفردة ﴿أَزۡكَىٰ﴾ هنا جاءت بمعنى أفضل.

ثامناً: بمعنى الاسلام.

١- قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس:٧]

هذه الآية متعلقة بسابقتها حيث يخاطب المولى عز وجل النبي -ﷺ- فيقول له محقِرًا لشأن الكفار: "أما مَن استغنى عن هديك، فأنت تتعرض له وتصغي لكلامه، وأي شيء

---

(١) الكشاف ٣/ ٢٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٣٣.

(٣) ينظر: فتح القدير ٤/ ٢٤ بتصرف.

(٤) حدائق الروح والريحان ١٩/ ٢٨٠.

(٥) التحرير والتنوير ١٨/ ٢٠١.

عليك ألا يتطهر من كفره بالإيمان؟!"[١]

و﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ أصله: يتزكى بوزن يتفعل، أبدلت تاء التفعل زايًا، وأدغمت في الزاي والمعنى: ليس عليك بأس في عدم تزكيته بالإسلام[٢]، واختلفوا في المراد بالمفردة ﴿يَـزَّكَّىٰٓ﴾ هنا إلى خمسة أقوال: **الأول** بمعنى يتطَّهر، يقول الطبري: "﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ يقول: وأي شيء عليك أن لا يتطهَّر من كفره فيُسلم؟"[٣].

الثاني: بمعنى يؤمن، يقول ابن أبي زمنين: "﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أَلا يُؤمن"[٤].

الثالث: بمعنى يسلم، يقول السمعاني: "قَوْله:﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أَي: وَمَا عَلَيْك أَلا يسلم، وَالْمعْنَى أَنه لَو لم يسلم ذَلِك الَّذِي أَقبلت عَلَيْهِ، لم يكن عَلَيْك من ذَلِك شَيْء."[٥].

الرابع: يفلح، يقول ابن عطية: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ وما يضرك ألا يفلح، فهذا حض على الإعراض عن أمرهم، وترك الاكتراث بهم"[٦]. **الخامس**: بمعنى يهتدي، يقول القرطبي: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أي لا يهتدي هذا الكافر ولا يؤمن، إنما أنت رسول، ما عليك إلا البلاغ."[٧]

بعد عرض هذه الأقوال نجد أنها كلها صالحة في الدلالة على معنى ﴿يَـزَّكَّىٰٓ﴾ لكن سياق الآيات يرجح المعنى الثالث وهو يسلم، وذلك لأن المفردة ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ وردت في هذه الآية في سياق قصة ابن مكتوم حينما كان النبي-ﷺ- يخاطب بعض أشراف قريش يدعوهم إلى الإسلام وقد طمع في إسلامهم، فأقبل عبد الله بن أم مكتوم، وقطع عليه كلامه، فكره رسول

---

(١)التفسير الميسر ١/ ٥٨٥، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٨٨٤.

(٢) حدائق الروح والريحان ٣١/ ١٤٧.

(٣) جامع البيان ٢٤/ ٢٢٠.

(٤) تفسير القرآن العزيز ٥/ ٩٤.

(٥) تفسير القرآن ٦/ ١٥٦.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٧.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢١٥.

الله-ﷺ- مقاطعته له وأعرض عنه، عندها عاتبه المولى عز وجل بقوله: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ "والمعنى لا شيء عليك في أن لا يسلم من تدعوه إلى الإسلام، فإنه ليس عليك إلا البلاغ، فلا يبلغن بك الحرص على إسلامهم إلى أن تُعرِض عمن أسلم للاشتغال بدعوتهم."(١)، وفي هذا "تحقير لأمر الكافر وحض على الإعراض عنه وترك الاهتمام به"(٢)، فالسياق هنا يصور معاتبة الله لنبيه في توليه وإعراضه عمن أسلم، وإقباله وتعرضه للمشركين طمعًا في إسلامهم؛ لأن "الممنوع عنه في الحقيقة الإعراض عمن أسلم لا الإقبال على غيره والاهتمام بأمره حرصا على إسلامه"(٣) لكن هذا العتاب وأمثاله "وإن كان عتابًا في الظاهر، لكن فيه كمال مدح له -ﷺ- لاهتمامه بشأن ما أرسل به وبذل جهده."(٤) "فبيّن الله – تعالى- أن ابن أم مكتوم -رضي الله عنه- أقرب إلى التزكي من هؤلاء العظماء، وأنَّ هؤلاء إذا لم يتزكوا مع إقبال الرسول -ﷺ- عليهم، فإنه ليس عليه منهم شيء. "(٥)، وذلك لعدم قابليتهم للإسلام "فكيف يحرص على إسلام من ليس له قابلية، وقد خُلِق على حب الدنيا، والعمى عن الآخرة، وفيه استهانة لمن أعرض عنه، وتحقير لأمره، وحض على الإعراض عنه، وترك الاهتمام به."(٦)، وعلى ذلك فالمفردة ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ هنا يراد بها الإسلام.

---

(١) مفاتيح الغيب ٣١/ ٥٤.

(٢) البحر المحيط ١٠/ ٤٠٧.

(٣) روح المعاني ١٥/ ٢٤٣.

(٤) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني ص ٣٣١.

(٥) تفسير جزء عم لابن عثيمين ص ٦٠.

(٦) حدائق الروح والريحان ٣١/ ١٢٣.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، هدىً وذكرى لأولي الألباب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مُنَزِّل القرآن، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، فاتح قلوب أهل الإيمان، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

وبعد،،،

فهذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث وهو "المفردة القرآنية ودلالاتها السياقية "مادة (ز ك ا) أنموذجًا"، وكان من أهم هذه النتائج ما يأتي:

١ – أن المفردة القرآنية هي أساس الجملة القرآنية التي تتكون منها الآيات والسور القرآنية، وفهم دلالتها يعد من أهم المعينات على فهم القرآن الكريم؛ فيجب وضعها في سياقها الذي تفهم فيه، ولا ينبغي قطعها عنه، ففي ذلك إخلال بالفهم، وإفساد للنظم البديع، وبعد عن القصد.

٢ – تنوعت دلالة المفردة القرآنية لمادة (ز ك ا) ومشتقاتها في القرآن الكريم بين الدلالة بالمعنى الحسي، والدلالة بالمعنى المجازي، حيث وردت في القرآن الكريم في ستة وخمسين موضعًا منها ثلاثون موضعًا دلت على معان حسية، وستة وعشرون موضعًا دلت على معان مجازية.

٣ – شيوع هذه المادة في القرآن الكريم، وكثرة مشتقاتها التي وردت فيه، حتى وصلت إلى ستة وخمسين مشتقًا، تنوعت بين الفعل الماضي والمضارع والمصدر وصيغ المبالغة وأفعل التفضيل.

٤ – تجلى دور السياق هنا في تحديد معنى المفردة القرآنية ومكانها في الآية، ومدى تحقيق الانسجام والاتساق بينها وبين بقية المفردات الأخرى الواردة معها في السياق نفسه، فجاءت كل مفردة من المفردات القرآنية في سياقاتها المحددة لها المتوافقة معها، فكل لفظة تتناسب مع ما قبلها وتطلب ما بعدها. كما في قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ وغيرها من الآيات الواردة في الدراسة.

٥ – كان للسياق دور بارز في ترجيح بعض الآراء على بعض وهذا ما ورد في كثير من

الآيات مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ وغيرها كثير من الآيات الواردة في البحث.

٦ – دور القرائن السياقية في تحديد معنى المفردة القرآنية، فقد كان لها الأثر البالغ في كثير من الآيات القرآنية التي اشتملت على أحد مشتقات مادة (ز ك ا) كما في قوله تعالى:﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ وغيرها من الآيات.

وبعد فهذا ما قد توصلت إليه من نتائج في هذا البحث، والله أسأل أن يجعل هذا العمل نافعًا للعلم وطلابه، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس أهم المصادر والمراجع.

١ – أحكام القرآن لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ) ت/ عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط. الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٢ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣– أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ت/ محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط. الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٤– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.

٥ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) ت/ محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٦ – بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) بدون طبعة

٧ – البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي ، ت / صدقي محمد جميل ط دار الفكر – بيروت ١٤٢٠ هـ .

٨ – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ) ت/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة

٩ – تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، ت / مجموعة من المحققين ، ط. دار الهداية .

١٠ – تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ) ، ت/أحمد عبد الغفور عطار، ط. دار العلم للملايين – بيروت ، ط. الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

١١ – تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) ت/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٢ – تأويلات أهل السنة لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ) ت/ د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٣– التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) ، ط. الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.

١٤ – التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ) ت/ الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت

١٥ – التعريفات لعلى بن محمد الشريف الجرجاني ، ت/ مجموعة من العلماء ط دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

١٦ – التعليق على الموطأ في تفسير لغاته وغوامض إعرابه ومعانيه لهشام بن أحمد الوقشي الأندلسي (٤٠٨ هـ – ٤٨٩ هـ) ت/ د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض – السعودية، ط. الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

١٧ – تفسير آيات الأحكام لمحمد علي السايس، ت/ ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ٢٠٠٢م.

١٨ – تفسير جزء عم د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، ط. الثامنة، ١٤٣٠هـ.

١٩ – تفسير جزء عم لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ) إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٢٠ – التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول] لدروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، عام ١٣٨٣ هـ.

٢١ – تفسير الشعراوي – الخواطر للشيخ محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) مطابع أخبار اليوم.
٢٢ – تفسير الفاتحة والبقرة لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ) دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط. الأولى، ١٤٢٣ هـ.
٢٣ – تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) للشيخ محمد رشيد بن علي رضا (ت ١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠ م.
٢٤ – تفسير القرآن العزيز لأبي عبد الله محمد بن عيسى المري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ) ت/ أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – القاهرة، ط. الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
٢٥ – تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ) ت/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط. الأولى – ١٤١٩ هـ.
٢٦ – تفسير القرآن العظيم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) ت/ أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى– السعودية، ط. الثالثة – ١٤١٩هـ.
٢٧ – تفسير القرآن لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ) ت/د عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ط. الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٢٨ – تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني (ت ٤٨٩هـ) ت/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية
٢٩ – التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون للأستاذ الدكتور مأمون حموش، ط. الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.
٣٠ – تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط. الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.
٣١ – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط. الثانية ، ١٤١٨ هـ.

٣٢ – التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط. الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.

٣٣ – التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد – بيروت، ط. العاشرة ١٤١٣هـ.

٣٤ – التفسير الوسيط للقرآن الكريم للدكتور محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط. الأولى١٩٩٧ – ١٩٩٨م.

٣٥ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) ت/ عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط.الأولى١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م

٣٦ – جامع البيان فى تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري ، ت/ أحمد محمد شاكر ط . مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط الأولي ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠ م .

٣٧ – الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي ، ت/ أحمد البردوني، ط دار الكتب المصرية ط الثانية ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

٣٨ – الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) ت/ الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط. الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣٩ – حَاشِيةُ الشِّـهَابِ عَلَـى تفْسيرِ البَيضَـاوِي، لشـهاب الـدين أحمـد بـن محمد بـن عمـر الخفاجي المصري (ت ١٠٦٩هـ) ، ط. دار صادر – بيروت.

٤٠ – حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط. الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٤١ – الدر المنثور لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار الفكر– بيروت.

٤٢ – دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث د. عبد الفتاح البركاوي، بدون طبعة.

٤٣ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ت/ علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط. الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٤ – زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، ت/عبد الرزاق المهدي ، ط. دار الكتاب العربي – بيروت ، ط. الأولى – ١٤٢٢هـ.

٤٥ – الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت ٣٧٠هـ) ، ت/ مسعد عبد الحميد السعدني ، ط. دار الطلائع.

٤٦ – الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) ، ت/ د. حاتم صالح الضامن ، ط. مؤسسة الرسالة – بيروت ط. الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

٤٧ – زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي.

٤٨ – السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير لشمس الدين، الخطيب الشربيني الشافعي (ت ٩٧٧هـ) مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ١٢٨٥ هـ.

٤٩ – السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي للباحث المثنى عبد الفتاح محمود رسالة دكتوراة في قسم التفسير وعلوم القرآن جامعة اليرموك سنة ١٤٢٦هـ.

٥٠ – السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير رسالة ماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى للباحث عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري ، سنة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م.

٥١ – شرح سنن أبي داود لشهاب الدين بن رسلان المقدسي الشافعي (ت ٨٤٤ هـ) ت/ عدد من الباحثين، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، ط. الأولى، ١٤٣٧ هـ – ٢٠١٦ م.

٥٢ – صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، ت/محمد زهير بن

ناصر الناصر ، ط. دار طوق النجاة ، ط. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٥٣ – علم الدلالة د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط. الأولى ١٩٨٥.
٥٤ – علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي د. منقور عبد الجليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ٢٠٠١م.
٥٥– علم الدلالة بين النظر والتطبيق د/ أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت، ط. الأولى ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.
٥٦ – علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي د. هادي نهر، دار الأمل للنشر والتوزيع– الأردن، ط. الأولى ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٧م.
٥٧ – علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية د. فريد عوض حيدر، مكتبة الأداب، ط. الأولى ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
٥٨ – علم الدلالة اللغوية د. عبد الغفار هلال، بدون طبعة.
٥٩ – العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) ت/ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ،ط.دار ومكتبة الهلال.
٦٠ – غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت نحو ٥٠٥هـ) دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت.
٦١ – غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ) ت/ الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط. الأولى – ١٤١٦ هـ.
٦٢ – غريب الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) ، ت/د. عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني – بغداد ، ط. الأولى، ١٣٩٧.
٦٣ – فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط. الأولى – ١٤١٤ هـ.
٦٤ – قرينة السياق للدكتور تمام حسان، بحث مقُدَّم في (الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم) مطبعة عبير للكتاب سنة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م .

٦٥ – قرينة السياق وأثرها في النص القرآني د. عبد الباقي بدر الخزرجي ، بحث في مجلة كلية التربية– الجامعة المستنصرية، العدد الثامن والستون ٢٠١١م.
٦٦ – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي – بيروت، ط. الثالثة – ١٤٠٧ هـ
٦٧ – الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ) ت/ عدد من الباحثين ، الناشر: دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م
٦٨ – الكلمة دراسة لغوية معجمية د. حلمي خليل، ط. دار المعرفة الجامعية ٢٠١١م.
٦٩ – لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ) ت/ محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط. الأولى، ١٤١٥ هـ.
٧٠ – لسان العرب لمحمد بن مكرم أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (ت ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.
٧١ – محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) ت/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، ط. الأولى – ١٤١٨هـ.
٧٢ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ) ، ت/عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط. دار الكتب العلمية – بيروت ، ط.الأولى ١٤٢٢هـ .
٧٣ – المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ) ت/عبد الحميد هنداوي، ط. دار الكتب العلمية – بيروت، ط. الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
٧٤ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ) ت/ يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٧٥ – مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (ت ١٣١٦هـ) ت/ محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط. الأولى ١٤١٧هـ.

٧٦ – معالم التنزيل في تفسير القرآن لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي(ت٥١٠هـ) ت/عبد الرزاق المهدي، ط. دار إحياء التراث العربي– بيروت ، ط. الأولى ١٤٢٠هـ.

٧٧ – معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، ت/ أحمد يوسف النجاتي وآخرون ، ط. دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ، ط. الأولى.

٧٨ – معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط. الثانية ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨ م.

٧٩ – مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) ، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط. الثالثة – ١٤٢٠هـ.

٨٠ – المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) ت/ صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط. الأولى – ١٤١٢ هـ

٨١ – مقاييس اللغة لأحمد بن فارس القزويني(ت٣٩٥هـ) ت / عبد السلام محمد هارون ، ط دار الفكر سنة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

٨٢– المنتخب في تفسير القرآن الكريم، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط. الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م

٨٣– الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد المرادي النحوي (ت ٣٣٨هـ) ت/ د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح – الكويت، ط. الأولى، ١٤٠٨.

٨٤ – النَّظْمُ المُسْتَعْذَبُ فِي تفْسِير غريبِ ألْفَاظِ المهَذّبِ لابن بطال الركبي (ت٦٣٣هـ) ت/ د. مصطفى سَالِم، ط. المكتبة التجارية– مكة المكرمة ١٩٨٨م – ١٩٩١م.

٨٥ – النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام لأحمد محمد بن علي بن محمد الكَرَجي القصَّاب (ت/ نحو ٣٦٠هـ) ت/ مجموعة من المحققين، دار القيم – دار ابن عفان، ط. الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٨٦ – النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) ت/ السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت

٨٧ – الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت ٤٦٨هـ) ت/ مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط الأولى ١٤١٥هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	٤٧١٤
المقدمة	٤٧١٦
التمهيد	٤٧١٩
المبحث الأول: الدلالات اللغوية للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا)	٤٧٢٦
المبحث الثاني: الدلالات السياقية للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا)	٤٧٣١
المطلب الأول: الدلالة الحسية للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا) ومشتقاتها	٤٧٣٣
المطلب الثاني: الدلالة الحسية للمفردة القرآنية الخاصة بمادة (ز ك ا) ومشتقاتها	٤٧٧٦
الخاتمة	٤٨٢٢
فهرس المصادر والمراجع	٤٨٢٤
فهرس الموضوعات	٤٨٣٣